رسالة في إعجاز سورة الكوثر

للزمخشري

تحقيق

حامد الخفاف

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

مما لا مجال للشك فيه أن عهد نزول القرآن في حياة العرب يمثل ذروة اهتمام المجتمع القبلي في الجزيرة العربية ببلاغة الكلمة وفصاحة المنطق ودقة الحس البياني ، أكثر من أي وقت مضى ، فليس غريبا عنا ما كانت توليه القبيلة من احترام وتقدير لأصحاب اللسان الماشق والحس المرهف ، فترى الشاعر سيف القبيلة الناطق ، الذي تجرده بوجه أعدائها ، وتقدمه درعا واقيا يرد عنها سهام الكلام ، حتى

أن أبياتا من الشعر تحوي من قارص الكلم أشده يمكن أن تفعل فعلها أشد من السنان وأمضى من المهند المصقول.

وذاك سوق عكاظ ، نادي الأدباء العرب ـــ إن صح التعبير ـــ يجتمعون فيه ، لتتصار ع الكلمة في حلبة البلاغة ، وليتبارز البيان بسيوف الفصاحة ، تشد إليه الرحال ، وتعقد عليه الآمال ، كل ذلك كان يعمق في الجزيرة العربية حقيقة كونها مجتمع الكلمة الذي لم يعرف اللحن له طريقا ، ولا العجمة سبيلا.

وجاء القرآن ، كلام الله المجيد ، ينشر من أريجه عطر القداسة ، ويضم بين دفتيه ما يحير العقول ، ويأخذ بالالباب ، انظروا إلى عدو الله الوليد بن المغيرة

(196)

المخزومي ، فاغرا فاه ، يتمتم بحيرة : « والله لقد نظرت فيما قال هذا الرجل فإذا هو ليس بشعر ، وإن له لحلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغذق ، وإنه ليعلو وما يعلى. »

جاء ليتحدى كبرياء الكلمة في عقر دارها ، وشموخ البيان في عنفوانه : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ، فكانت المعجزة التي ألقت لها الفصاحة قيادها ، وكأن دولة البلاغة العظمى كانت تنتظر ملكها بلهفة وشوق ، وهكذا كان.

وكتابنا الصغير هذا ، جواب من الزمخشري ـــ رجل البلاغة والفصاحة ـــ على عدة إشكالات ، وردت من صديق له حول إعجاز القرآن ، بصورة رسالة بعثها إليه ، سائلا إياه الاجابة ، فتصدى المؤلف للجواب عنها ، باسلوبه الشيق الرفيع ، برسالة حول إعجاز سورة الكوثر ، هي كما قال عنها : « رسالة من أبلغ الرسالات ، اورد فيها مقدمة في إعجاز القرآن الكريم ، في فضل اللسان العربي على كل لسان ، على وجه عجيب ، واسلوب على طرف الثمام قريب غريب » مضيفا بذلك للمكتبة الاسلامية جهدا رائعا يشار إليه بالبنان ، حاولنا أن نضفي عليه بتحقيقنا إياه من روعة الاخراج ما نتمكنه ، ومن متطلبات التحقيق ما يحتاجه ، وعلى الله التكلان.

* * *

(197)

ترجمة المؤلف

هو العلامة جار الله أبوالقاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، كبير المعتزلة ، صاحب الكشاف والمفصل (١) ، أمره في الاشتهار أوضح من الشمس وأبين من الامس.

ولادته وبلده:

ولد الزمخشري في يوم الاربعاء السابع والعشرين من رجب سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشر خوارزم ، على مانقله القفطي عن ابن اخته أبي عمر عامر بن الحسن السمساري (٢) ، وقال أيضا « :ونقلت من كتاب محمد بن محمد ابن حامد قال : كان مولده ـــ يعني الزمخشري ـــ في سابع عشر شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة » (٣.)

يقول الزمخشري : « وأما المولد فقرية من قرى خوارزم مجهولة ، يقال لها :

---

(1)توجد ترجمته في : الانساب ٦ : ٢٩٧ ، معجم البلدان ٣ : ١٤٧ ، معجم الادباء ١٩ : ١٢٦ | ٤١ ، الكامل في التاريخ ١١ : ٩٧ ، إنباه الرواة ٣ : ٢٦٥ | ٧٥٣ ، وفيات الاعيان ٥ : ١٦٨ | ٧١١ ، ميزان الاعتدال ٤ : ٧٨ | ٨٣٦٧ ، العبر ٢ : ٤٥٥ ، سير أعلام النبلاء ٢٠ : ١٥١ | ٩١ ، تذكرة الحفاظ ٤ : ١٢٨٣ ، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد : ٢٢٨ | ١٧٣ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٦٩ ، البداية والنهاية ١٢ : ٢١٩ ، لسان الميزان ٦ : ٤ ، بغية الوعاة ٢ : ٢٧٩ | ١٩٧٧ ، طبقات المفسرين ١٠٤ | ١٢٧ ، طبقات المفسرين للداودي ٢ : ٣١٤ | ٦٢٥ ، شذرات الذهب ٤ 121 : ، روضات الجنات ٨ : ١١٨ | ٧١١ ، الكنى والالقاب ٢ : ٢٩٧ ، هدية العارفين ٢ : ٤٠٢ ، وعن هامش السير : نزهة الالباء : ٣٩١ ، المختصر في أخبار البشر ٣ : ١٦ ، إشارة التعيين : الورقة ٥٣ و٥٤ ، البدر السافر : ورقة ١٩٣ ، تاريخ الاسلام : وفيات ٥٣٨ ، دول الاسلام ٢ : ٥٦ ، تلخيص ابن مكتوم : ٢٤٣ ، الجواهر المضية ٢ : ١٦٠ ، العقد الثمين ٧ : ١٣٧ ، طبقات المعتزلة : ٢٠ ، طبقات ابن قاضي شهبة ٢ : ٢٤١ ، النجوم الزاهرة ٥ : ٢٧٤ ، تاج التراجم : ٧١ ، طبقات الفقهاء لطاش كبرى : ٩٤ و٩٥ ، مفتاح السعادة ٢ : ٩٧ ، أزهار الرياض ٣ : ٢٨٢ ، الفوائد البهية : ٢٠٩ ، كنوز الاجداد291 : ، تاريخ بروكلمان ٥ : ٢١٥.

(2)إنباه الرواة ٣ : ٢٦٦.

(3)إنباه الرواة . 3 : 271

(198)

زمخشر ، سمعت أبي قال : اجتاز بزمخشر أعرابي فسأل عن اسمها واسم كبيرها ، فقيل له : زمخشر والرداد ، فقال : لا خير في شر ورد ، ولم يلمم بها » (٤. (

وزمخشر ـــ بفتح أوله وثانيه ، ثم خاء معجمة ساكنة ، وشين معجمة ، وراء مهملة ـــ : قرية جامعة من نواحي خوارزم (٥) ، وقال القفطي : سمعت بعض التجار يقول : إنها دخلت في جملة المدينة ، وإن العمارة لما كثرت وصلت إليها وشملتها ، فصارت من جملة محالها (٦. (

وقال فيها الشريف أبوالحسن علي بن عيسى بن حمزة الحسني المكي عند مدح الزمخشري:

تـــبـــوأهـــا دارا فـــــداء زمخشرا * جميع قرى الدنيا سوى القرية التي

إذا عد في أسد الشرى زمخ الشرى (٧) * وأحر بأن تزهى زمخشر بامرئ

وبعد نشوئه تنقل الزمخشري في بلدته يجوب الاقطار طلبا للعلم وسعيا وراء المعرفة ، فطاف الآفاق وتنقل ما بين بغداد ونيسابور ، ثم أقام بمكة المكرمة ، ولذلك لقب نفسه جار الله لمجاورته البيت العتيق ، وكان أين ما حل وارتحل محل احترام وتقدير.

مكانته العلمية:

يعتبر الزمخشري شخصية بارزة في عالم الفصاحة والبلاغة والادب والنحو ، نتلمس ذلك جليا في مصنفاته وآثاره من جهة ، ومن إطراء وتبجيل كل من ترجم له من جهة اخرى.

يقول القفطي : وذكره صاحب الوشاح ـــ ذكره بألقاب وسجع له على عادته ـــ فقال : « استاذ الدنيا ، فخر خوارزم ، جار الله العلامة أبوالقاسم محمود

4) ، (5معجم البلدان ٣ : ١٤٧.

(6)إنباه الرواة ٣ : ٢٦٥.

(7)إنباه الرواة ٣ : ٢٦٨ .

(199)

الزمخشري ، من أكابر الامة ، وقد ألقت العلوم إليه أطراف الازمة ، واتفقت على إطرائه الالسنة ، وتشرفت بمكانه وزمانه الامكنه والازمنة ، ولم يتمكن في دهره واحد من جلاء رذائل النظم والنثر ، وصقال صوارم الادب والشعر ، إلا بالاهتداء بنجم فضله ، والاقتداح بزند عقله ، ومن طار بقوادم الانصاف وخوافيه ، علم أن جواهر الكلام في زماننا هذا من نثار فيه ، وقد ساعده التوفيق والاقبال ، وساعفه من الزمان الماضي والحال ، حتى اختار لمقامه أشرف الاماكن ، وجمع بجوار بيت الله الحرام بين الفضائل والمحاسن ، وودع أفراس الامور الدنياوية ورواحلها ، وعاين من بحار الخيرات

والبركات سواحلها ، وقد صغر في عيون أفاضل عهده ما رأوه ورووه ، وملك في قلوب البلغاء جميع ما رعوه ووعوه ، وإن كان عدد أبياته التي ذكرها قليلا فكماله صار عليها دليلا » (٨. (

ولما قدم الزمخشري إلى بغداد قاصدا الحج زاره الشريف أبوالسعادات هبة الله بن الشجري مهنئا له بقدومه ، فلما جلس إليه أنشده متمثلا:

كانت مسألـــة الركبان تخبرني * عـــن أحمد بن دواد أطيب الخبر

حتى التقينا فلا والله ما سمعت * أذني بأحسن مما قد رأى بصري

وأنشد أيضا:

فلما التقينا صغر الخَبَرَ الخُبْرُ(٩) * وأستكبر الاخبار قبل لقائه

وكان الزمخشري ممن يضرب به المثل في علم الادب والنحو واللغة (١٠) ، وما دخل بلدا إلا واجتمعوا عليه وتلمذوا له ، واستفادوا منه ، وكان علامة الادب ، ونسابة العرب ، تضرب إليه أكباد الابل ، وتحط بفنائه رحال الرجال ، وتحدى باسمه مطايا الآمال (١١. (

وقال ياقوت : كان إماما في التفسير والنحو واللغة والادب ، واسع العلم ،

---

(8)إنباه الرواة ٣ : ٢٦٨.

(9)معجم الادباء ١٩ : ١٢٨.

(10)الانساب ٦ : ٢٩٧.

(11)طبقات المفسرين للسيوطي : ١٠٥ ، إنباه الرواة ٣ : ٢٦٦ .

كبير الفضل ، متفننا في علوم شتى (١٢. (

ولا نريد الاطالة في سرد العبارات الواردة في مدح المصنف والثناء عليه ، ففي ما ذكرناه كفاية لمن يقنع بالتلميح عن التصريح.

مؤلفاته:

1ــ الكشاف في تفسير القرآن.

2ــ الفائق في غريب الحديث.

3ــ نكت الاعراب في غريب الاعراب ، في غريب إعراب القرآن.

4ــ كتاب متشابه أسماء الرواة.

5ــ مختصر الموافقة بين أهل البيت والصحابة.

6ـ الاصل ، لابي سعيد الرازي إسماعيل.

7ـ الكلم النوابغ ، في المواعظ.

8ـ أطواق الذهب ، في المواعظ.

9ـ نصائح الكبار.

10ـ نصائح الصغار.

11ـ مقامات في المواعظ.

12ـ نزهة المستأنس.

13ـ الرسالة الناصحة.

14ـ رسالة المسامة.

15ـ الرائض في الفرائض.

16ـ معجم الحدود.

17ـ المنهاج في الاصول.

18ـ ضالة الناشد .

---

(12)معجم الادباء ١٩ : ١٢٦ .

19ـ كتاب عقل الكل.

20ـ النموذج ، في النحو.

21ـ المفصل ، في النحو.

22ـ المفرد والمؤلف ، في النحو.

23ـ صميم العربية.

24ـ الامالي في النحو.

25ـ أساس البلاغة ، في اللغة.

26ـ جواهر اللغة.

27ـ كتاب الاجناس.

28ـ مقدمة الادب ، في اللغة.

29ـ كتاب الاسماء ، في اللغة.

30ــ القسطاس ، في العروض.

31ــ حاشية على المفصل .

32ــ شرح مقاماته.

33ــ روح المسائل.

34ــ سوائر الامثال.

35ــ المستقصى ، في الامثال.

36ــ ربيع الابرار ، في الادب والمحاضرات.

37ــ تسلية الضرير.

38ــ رسالة الاسرار.

39ــ أعجب العجب في شرح لامية العرب .

40ــ شرح المفصل.

41ــ ديوان التمثيل.

42ــ ديوان خطب.

(202)

43ــ ديوان رسائل.

44ــ ديوان شعر.

45ــ شرح كتاب سيبويه.

46ــ كتاب الجبال والامكنة.

47ــ شافي العي من كلام الشافعي.

48ــ شقائق النعمان في حقائق النعمان ، في مناقب الامام أبي حنيفة.

49ــ المحاجاة ومتمم مهام أرباب الحاجات ، في الاحاجي والالغاز.

50ــ المفرد والمركب ، في العربية (١٣. (

51ــ رسالة في إعجاز سورة الكوثر ، وهي الرسالة التي بين يديك.

تلامذته والرواة عنه:

يظهر مما ذكره القفطي في إنباه الرواة : « وما دخل بلدا إلا واجتمعوا عليه وتلمذوا له » (١٤) كثرة تلاميذه وانتشارهم باعتبار كثرة سفره وتجواله في الاقطار ، نذكر منهم ما استطعنا العثور عليه خلال استقراء عاجل لمظان ترجمته:

1ـ أبوالمحاسن إسماعيل بن عبد الله الطويلي.

2ـ أبوالمحاسن عبد الرحيم بن عبد الله البزاز.

3ـ أبوعمر عامر بن الحسن السمسار.

4ـ أبوسعد أحمد بن محمود الشاشي.

5ـ أبوطاهر سامان بن عبد الملك (١٥).

6ـ الشيخ علي بن محمد الخوارزمي.

7ـ الشيخ محمد بن أبي القاسم بن ياجوك البقالي الخوارزمي اللغوي.

---

(13)انظر معجم الادباء ١٩ : ١٣٤ ، وفيات الاعيان ٥ : ١٦٨.

(14)إنباه الرواة ٣ : ٢٦٦.

(15)الانساب ٦ : ٢٩٨ .

8ـ الشيخ أبوالفتح ناصر بن عبدالسيد بن المطرز (١٦).

شيوخه وأساتذته ومن سمع منهم:

1ـ أبومضر محمود بن جرير الضبي الاصبهاني.

2ـ أبوالحسن علي بن المظفر النيسابوري.

3ـ شيخ الاسلام أبومنصور نصر الحارثي.

4ـ أبوسعد الشقاني (١٧).

5ـ أبوالخطاب بن البطر (١٨).

شعره:

ورد شعر الزمخشري متفرقا في المصادر التي تعرضت لترجمته ، فحاولنا جهد الامكان أن نجمع شتات ما استطعنا العثور عليه فيها من الابيات الشعريه سواء كان قطعي الصدور عنه أو كان منسوبا إليه ، ونذكر مع كل قطعة شعرية مصدر النقل:

قال الزمخشري:

وسواه في جهلاته يتغمغم * العلم للرحمن جل جلاله

يســـعى ليعلم أنه لا يعلم * مـــا للتراب وللعلوم وإنما

وقال أيضا:

يدعي الفوز بالصراط السوي * كـــثـــر الشك والخلاف وكل

ثـــم حـــبـــي لاحمد وعـــلي * فاعتصامي بـــلا إلـــه ســـواه

كيف أشقى بحب آل نبي ؟! * فاز كلب بحب أصحاب كهف

---

(16)روضات الجنات ٨ : ١٢٣.

(17)معجم الادباء ١٩ : ١٢٧.

(18)العبر ٢ : ٤٥٥ ، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد : ٢٢٨ .

(204)

وقال في مدح تفسير الكشاف :

وليس فيها لعمري مـــثل كشافي * إن التفاسير في الـــدنـــيا بلا عدد

فالجهل كالداء والكشاف كالشافي (١٩) * إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته

وقال يرثي استاذه أبا مضر النحوي:

تساقطها عيناك سمطين سمطين * وقـــائـــلـــة ما هذه الدرر التي

أبومضر اذني تساقط من عيني (٢٠) * فقلت هو الدر الذي قد حشابه

وقال أيضا يرثيه:

ســـتـــعـــلم بعد الموت أيهما أحـــرى * أيا طـــالـــب الـــدنيا وتارك الاخرى

وذكـــرت بالآيات لو تـــنـــفع الذكرى * ألم يقرعوا بالحق سمعك ؟! قل : بلى

كأنك في اذنـــيـــك وقـــر ولا وقـــرا * أما وقر الطيش الذي فـــيـــك واعظ

أم الله لـــم يـــودعـــك لـــبا ولا حجرا * أمن حـــجـــر صـــلـــد فؤادك قسوة

وموت فريد العصر قد خرب العصرا * وما زال موت المرء يـــخـــرب داره

فشبهت بالخنساء إذ فـــقـــدت صخرا (٢١) * وصك بـــمـــثل الصخر سمعي نعيه

وقال أيضا:

وأكـــتـــمـــه ؛ كتمانه لي أسلم * إذا سألوا عن مـــذهبي لم أبح به

ابيح الطلا وهو الشراب المحرم * فإن حـــنــفيا قلت ، قالوا بأنني

ابيح لـــهم أكل الكلاب وهم هم * وإن مالكيا قـــلـــت ، قالوا بأنني

ابيح نـــكاح البنت والبنت تحرم * وإن شـــافعيا قلت ، قالوا بأنني

ثقيل حـــلـــولـــي بغيض مجسم * وإن حنبليا قـــلـــت ، قالوا بأنني

يقولون تيس لـــيس يدري ويفهم * وإن قلت من أهل الحديث وحزبه

فما أحد من ألسن الناس يـــســـلم * تعجبت مـــن هـــذا الزمان وأهله

---

(19)معجم الادباء ١٩ : ١٢٩.

(20)معجم الادباء ١٩ : ١٢٤ ، إنباه الرواة ٣ : ٢٦٧.

(21)إنباه الرواة ٣ : ٢٦٧ .

على أنهم لا يعلمون وأعلم * (22) وأخـــرنـــي دهري وقدم معشرا

وله أيضا:

من وصل غانية وطيب عناق * ســـهـــري لتنقيح العلوم ألذ لي

أشهى وأحلى من مدامة ســـاق * وتمايلي طربا لحل عويصـــة

أحلى من الدوكاء والعـــشـــاق * وصرير أقلامي على أوراقها

نقري لالقي الرمل عن أوراقي * وألـــذ من نـــقـــر الفتاة لدفها

نوما وتبغي بـــعـــد ذاك لحاقي * (23) أأبيت سهـــران الدجى وتبيته

وقال أيضا:

وما تطيبنا النجل من أعين البقر * ألا قل لـــســـعدى ما لنا فيك من وطر

عيونهم والله يـــجزي من اقتصر * فـــإنـــا اقتصرنا بـــالـــذين تضايقت

و لم أر في الدنيا صـــفاء بلا كدر * مليح ولـــكـــن عـــنـــده كـــل جفوة

إلى جنب حوض فيه للماء منحدر * و لم أنس إذ غـــازلـــته قرب روضة

أردت به ورد الـــخدود وما شعر * فـــقـــلـــت لـــه : جئني بورد وإنما

فقلت له : هـــيهات ما في منتظر * فقال : انتظرني رجع طرف أجئ به

فقلت له : إنـــي قنعت بما حضر (٢٤) * فقال : ولا ورد ســـوى الخد حاضر

وله أيضا

فـــالاواقي لـــماء وجهي أواقي (٢٥) * لاتـــلـــمـــنـــي إذا وقـــيـــت الاواقـــي

وقال أيضا في ذم متابعة النساء:

ولن يســـود فتى أعطى النسا رسنه * اعـــص النساء فتلك الطاعة الحسنه

---

(22)مقدمة الفائق ١ : ٩.

(23)مقدمة الفائق ١ : ٨.

(24)وفيات الاعيان ٥ : ١٧٢ ، سير أعلام النبلاء ٢٠ : ١٥٥ ، وقال الذهبي معلقا : هذا شعر ركيك لارقيق.

(25)روضات الجنات ٨ : ١٢٦ .

(206)

ولو سعى طالبا للعلم ألف سنه (٢٦) * تـــعـــوقـــه عن كمال في فضائله

ومما ينسب إليه قوله:

فـــيـــا ليتني قد مت قبل التزوج * تزوجت لم أعلم وأخطأت لم أصب

ولـــكـــنني أبكي على المتزوج (٢٧) * فوالله مـــا أبكي على ساكني الثرى

وينسب له في مدح الخمول :

غـــيـــرك يطلب أساميا وكنى * اطـــلـــب أبا القاسم الخمول ودع

تبرزه إن كـــنـــت عاقلا فطنا * شـــبـــه ببعض الاموات نفسك لا

واجعل له من خـــمـــوله كفنا * ادفـــنـــه فـــي البيت قـــبل ميتته

إذ أنت في الجهل تخلع الرسنا (٢٨ * (علك تـــطـــفـــي مـــا أنت موقده

ومن شعره:

أأنت أخـــو ليلى ؟ فقال : يقال * أقول لظبي مـــر بـــي وهو راتع :

يقال : أخو ليلى ؟ فقال : يقال * فقلت : وفي حكم الصبابة والهوى

يقال : ويستسقى ؟ فقال : يقال (٢٩) * فقلت : وفـــي ظل الاراكة والحمى

وقال أيضا:

مرء وإلا فعـــيـــشـــه كدر * لا بد في غفلة يعيش بها الـــ

ما لا يبالي بـــمـــثله الحذر * أمـــا رأيـــت الصحيح يؤلمه

وله أيضا

من لـــيـــس يبلغه لنا تسليم * أشمال ويحك بلغي تسليمي

ليكون فيك من الحبيب نسيم * مـــري بـــه وتعلقي بردائه

---

(26)روضات الجنات ٨ : ١٢٧.

(27)روضات الجنات ٨ : ١٢٧.

(28)الكنى والالقاب ٢ : ٢٦٨.

(29)شذرات الذهب ٤ : ١٢١ .

(207)

ولقد عهدتك بي وأنت رحيم * قولي له : ما بال قلبك قاسيا

والله يعـــلم أنـــنـــي مظلوم (٣٠) * إني أجـــلك أن أقول ظلمتني

وأجاب الزمخشري الامير شبل الدولة أبوالهيجاء مقبل بن عطية البكري الذي مدحه بعدة أبيات فقال :

فاعتلى منه نبات الجسد * شـــعره أمطر شعبي شرفا

بـــات مسقيا بنوء الاسد * كيف لا يستاسد النبت إذا

وقال أيضا في قصيدة طويلة يمدح بها الوزير مجير الدولة الاردستاني:

ويـــا حـــبـــذا أين استقل خيامها * أيا حـــبـــذا ســـعـــدى وحب مقامها

وعزي وذلي وصلها وانصرامها * حياتي ومـــوتي قرب سعدى وبعدها

وإن كان لايقرا علي ســـلامـــها * سلام عـــلـــيها أين أمست وأصبحت

وروض أرضـــا سام فيه سوامها * رعى الله سرحا قد رعى فيه سرحها

فقد أرغم المـــسك الذكي رغامها * إذا ســـحـــبت سعدى بأرض ذيولها

تنكس واســـتـــعلى عليها قوامها (٣١) * وإن ما يـــســـت قضبان بان رأيتها

قال القفطي : وأنشدني أفضل الدين أميرك الزبياني له من قصيدة فيها:

إذا التحبت فـــيـــها ذلاذل ريح * يفوح كفوح المسك فـــاغم نشرها

مقيما على تلك الصبابة فوحي * يقول لها الطش السماوي والصبا

مناجم قيصوم منـــابـــت شيح * مضاجع ســعــــدان مغارس حنوة
يـــجـــاوبـــه قمريها بـــمـــليح * اذا مـــلـــح المكاء رجع صغيره
عـــلـــى وتر للموصلي فصيح (٣٢) * كأن بـــديـــحا والغريض تطارحا

(30)إنباه الرواة ٣ : ٢٧٠.
(31)إنباه الرواة ٣. 267 :
(32)إنباه الرواة ٣ : ٢٦٩ .

عقيدته :

أطبقت المصادر التي تعرضت لترجمة المصنف أنه كان حنفي المذهب معتزلي العقيدة ، ويقال انه لما صنف كتابه الكشاف استفتح الخطبة بالحمد لله الذي خلق القرآن . فقيل له : متى تركته على هذه الهيئة هجره الناس فغيره بالذي أنزل القرآن ، وقيل : هذا اصطلاح الناس لا اصطلاح المصنف (٣٣ (.

يقول فيه الذهبي : « صالح ، لكنه داعية إلى الاعتزال ، أجارنا الله ، فكن حذرا من كشافه » (٣٤ (.

وقال ابن كثير « وكان يظهر مذهب الاعتزال ، ويصرح بذلك في تفسيره ويناظر عليه » (٣٥. (

ويظهر أن الزمخشري كان يعتد بما يذهب إليه كثيرا ، فقد ذكر ابن العماد الحنبلي ما لفظه : « وكان الزمخشري معتزلي الاعتقاد متظاهرا به حتى نقل عنه أنه كان إذا قصد صاحبا له واستأذن عليه في الدخول ، يقول لمن يأخذ له الاذن ، قل له : أبوالقاسم المعتزلي بالباب. (36) »

إلا أن الامير محمد حسين الحسني الحسيني الاصفهاني ذهب ـــ على ما نقله عنه صاحب الروضات ـــ إلى أن الرجل تشيع في أواخر حياته ، بدليل ما ورد في « ربيع الابرار » من نصوص تشعر بهذا المعنى ، فقال : « فإنه لا ريب في كونه على مذهب أهل السنة والجماعة في مبادئ أمره ، كما يفصح عنه تصفح الكشاف ، فإنه سلك فيه مسلك الاعتساف في مسألة الامامة وما يتعلق بها ، ولذلك أجمعت الامامية على كونه من العامة و لم يجوز أحد من العلماء استبصاره ورجوعه ، ولكنه

(33)انظر مرآة الجنان لليافعي ٣ : ٢٧٠.

(34)ميزان الاعتدال ٤ : ٧٨ .
(35)البداية والنهاية ١٢ : ٢١٩.
(36)شذرات الذهب ٤ : ١٢١ .

(209)

لما اتفق لي مطالعة كتابه المسمى بـــ « ربيع الابرار » وعثرت على كلام له صريح في التشيع لا يقبل التأويل ثم تصفحت وتفحصت فيه عما يؤكد ذلك فظفرت على غيره من الشواهد مما لا يجتمع مع قواعد العامة وتأويلاتهم من نحو ذكره لفضائل السيد الحميري وأشعاره الرائقة في فضائل أهل البيت عليهم السلام » (٣٧) ثم ذكر عدة موارد من الكتاب تأكيدا لما يذهب إليه.
وعلق السيد الخوانساري على الابيات التي قالها في مدح آل النبي صلى الله عليه وآله قائلا : « وفيه أيضا من الدلالة على تشيع الرجل ـــ ولو في آخر عمره ـــ ما لا يخفى » (٣٨. (
ولا نريد في هذه العجالة الخوض في لجج هذه المسألة ، بقدر ما قصدنا الاشارة إليها.
وفاته:
توفي الزمخشري بعد رجوعه من مكة المكرمة ليلة عرفة من سنة ٥٣٨ هــ في جرجانية خوارزم ، وهي بضم الجيم الاولى وفتح الثانية وسكون الراء بينهما وبعد الالف نون مكسورة وبعدها ياء مثناة من تحتها مفتوحة مشددة ثم هاء ساكنة ، قال ياقوت : يقال لها بلغتهم كركانج ، وقد عربت فقيل لها الجرجانية وهي على شاطئ جيجون.
وأوصى أن تكتب على لوح قبره هذه الابيات:
فـــي ظلمة الليل البهيم الاليل * يا من يرى مد البعوض جناحها
والمخ فـــي تلك العظام النحل * ويرى عروق نياطها في نحرها
ما كان منه في الزمان الاول * اغـــفـــر لعبد تاب من فرطاته

---

(37)روضات الجنات ٨ : ١٢٠.
(38)روضات الجنات ٨ : ١٢٧ .

(210)

نحن والرسالة:

من الطريف أن كل من ترجم للزمخشري وذكر مصنفاته ، لم يذكر رسالتنا هذه و لم يتعرض لها ، مما يضفي على هذه الرسالة أهمية خاصة لا تخفى على ذوى الالباب ، إلا أن هذه الحقيقة تفتح الابواب مشرعة أمام من يتسأل عن صحة نسبة الرسالة للزمخشري ، وجوابنا هو ما يلي:

1ــ إن اسلوب كتابة الرسالة من المتانة اللغوية والبلاغية بمكان ، يكاد يقطع كل من يطالعها إلى أنها ترتقي بمستواها إلى اسلوب الزمخشري الرفيع.

2ــ توجد هناك مجموعة من التعابير المجازية المستخدمة في الرسالة وجدتها بألفاظها ومعانيها في كتاب « أساس البلاغه » للزمخشري ، وفي هذا من الدلالة ما لا يستهان به.

3ــ قول السائل في مقدمة الرسالة التي بعثها للمؤلف : « ساعات سيدنا الامام الزاهد الحبر العلامة جار الله شيخ العرب والعجم » وقوله أيضا : (بعد أن جشم خاطره في « الكشاف عن حقائق التأويل ») يدل دلالة واضحة على أن مؤلف الرسالة هو الزمخشري صاحب الكشاف ، ويدل أيضا على أن تأليفها كان بعد تأليف كتاب الكشاف ، ولعل هذا يفسر عدم ذكر المصنف لهذه الرسالة في تفسير سورة الكوثر في كتابه الكشاف.

منهج التحقيق:

اعتمدت في تحقيق الرسالة على نسخة واحدة قام باستنساخها سماحة العلامة السيد عبد العزيز الطباطبائي عن النسخة المحفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق في تاريخ ١٧ ربيع الاول سنة ١٣٨٣ هــ ، حيث تفضل علي بها مشكورا ، والنسخة المذكورة كان قد نقلها محمد سعيد بن عمر كرامة عن نسخة موجودة في المكتبة العارفية في المدينة المنورة ، صدرها بقوله » : رسالة في إعجاز سورة الكوثر التي هي

(211)

أقصر السور للعلامة الطائر الصيت جار الله الزمخشري « وتوجد في النسخة حواشي كتبها الناسخ ، نقلت منها في ثلاثة موارد فقط رامزا لها بــ « هــ م » أي هامش المخطوط ، حفظا للامانة العلمية .

وحاولت جهد الامكان أن أقدم نصا مضبوطا للقارئ ، أقرب ما يكون لما تركه المؤلف على أنه لم تقع في يدي أكثر من نسخة واحدة ، وفي ذلك من المصاعب ما لا يخفى على أصحاب الخبرة في هذه الميدان ، فسعيت لتحقيق هذا الغرض بتخريج أغلب الالفاظ الصعبة من المعاجم اللغوية ، ولا يفوتني أن أشكر أخي الاستاذ أسد مولوي الذي استفدت من ملاحظاته في هذا المضمار ، وترجمت لاغلب الاعلام الواردين في الرسالة ، وشرحت الامثال التي أقحمها المؤلف في سياق كلامه مع

ذكرها مصادرها ، وتعرضت لشرح المصطلحات البلاغية والكلامية كـ « الالتفات » و« الصرفة » متوخيا بذلك تبسيط النص ، وخرجت النصوص الواردة من آيات وأحاديث وآثار ، ذيلت كل ذلك في هامش الكتاب الذي يعتبر ساحة عمل المحقق.

آملا بعملي هذا أن يكون قد قدمت جهدا متواضعا يصب في خدمة المكتبة الاسلامية ، ورافدا لمسيرتها المباركة ، بما هو نافع من تراثنا المعطاء ، والحمد لله رب العالمين.

حامد الخفاف ٢١ رجب ١٤٠٨ هـ

(212)

هذه الرسالة المعروضة إلى العلامة الزمخشري من بعض معاصريه التي كانت رسالته الآتية جوابا عنها بيانا لما في ضمنها.

بسم الله الرحمن الرحيم

ساعات سيدنا الامام الزاهد الحبر العلامة جار الله شيخ العرب والعجم ، أدام الله إمتاع المسلمين ببقائه ، وإن كانت مقصورة على الاستعداد للمعاد ، مستغرقة في اتعاب خاطره الوقاد في فنون الاجتهاد ، لا يفتر طرفة عين عن تصنيف ينفث فيه سحره ، ويلفظ للغواصين فيه دره ، بعد أن جشم خاطره في « الكشاف عن حقائق التأويل » وأجال رويته في البحث عن وجوه التأويل ، مدئبا في الفكر مطاياه ، متغلغلا في علم البيان إلى زواياه وخباياه ، حتى ارتفع كتابا ساطعا بيانه ، جليا برهانه ، مشحونا بفوائد لا يدركها الاحصاء ، ومحاسن لا يقصرها الاستقصاء ، لكنه مع هذا يتوقع من دينه المتين وفضله المبين أن يتصدق على معشر الداعين لايامه ، الشاكرين لانعامه ، بالجواب عن اعتراضات تتزاح بسببه شبه المرتابين ، ليتوصلوا بنتائج خاطره ، وبركات أنفاسه ، إلى ثلج الصدور وبرد اليقين ، والله تعالى ولي توفيقه في مايكسبه جزيل المثوبة في العقبى ، وحسن الاحدوثة في الدنيا إن شاء الله.

فمنها : سأل سائل فقال : ذكرتم أن لغة العرب لها من الفضيلة ما ليس لسائر اللغات ، فقلتم قولا غفلا ساذجا من غير أن تشيروا إلى بيان وجه التفضيل ، وتبينوا الخواص التي لاجلها أحدث وصف الفضيلة والشرف ، وتعدوها فصلا فصلا ، وتشيروا إليها شيئا فشيئا ، وما أنكرتم على من قال لكم : إن لغة العرب وغيرها من اللغات المختلفة كالسريانية والعبرانية والهندية والفارسية كلها على

(213)

السواء ، لا فضيلة لبعضها على البعض ، وإنما هي مواضعات ورسوم واصطلاحات وضعت لاجيال الناس للافهام والاعلام ، لتكون دلالات على المقاصد والاغراض.

وذكرتم أن في لغة العرب دقائق وأسرارا لا تنال إلا بجهد التأمل وفرط التيقظ ، فلا يخفى أن هذه الاسرار والدقائق لا يمكن دعواها في الاسماء المفردة والافعال المفردة والحروف المفردة ، وإنما يمكن دعوى هذه الاسرار على تقدير ارتباط الكلم ، وجعل بعضها يتصل بسبب بعض وينتظم ، ومثل هذا موجود في كل لسان إذا ربطت بعض الكلم ببعض ، وراعيت في ربطها الاليق فالاليق ، حصل لك المقرر والمقصود ، وقارن في هذه القضية لغة العرب وغيرها من اللغات على السواء.

ومنها : أنه لا يخفى أن القرآن سيد معجزات رسولنا عليه الصلاة والسلام ، والعلم بكونه معجزا علم ضروري ، ولكن الشأن في بيان إعجازه ، فمن قائل يقول وهو النظام (١) ومن تبعه : إن الآية والاعجزية في القرآن اختصاصه بالاخبار عن الغيوب بما كان ويكون ، وبمنع الله العرب أن يأتوا بمثله . قال : وأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد ، لو لا أن الله تعالى منعهم

وأعجزهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم.
ومن قائل يقول : وجه الاعجاز في القرآن أنه اسلوب من أساليب الكلام ، وطريقة ما عهدها العرب ولا عرفوها ، و لم تكن مقدورة لهم.
ومن قائل يقوله : وجه الاعجاز فيه علمنا بعجز العرب العاربة عن أن

(1)هو إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري ، أبوإسحاق النظام ، من أئمة المعتزلة ، تبحر في علوم الفلسفة ، واطلع على أكثر ما كتبه رجالها من طبيعيين وإلهيين ، وانفرد بآراء خاصة ذكرها الشهرستاني في الملل والنحل ، تابعته فيها فرقة من المعتزلة ، سميت « النظامية » نسبة إليه ، أما شهرته بالنظام فبعض يقول:
إنها من إجادته نظم الكلام ، وبعض يقول : إنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة ، توفي سنة ٢٣١ هـ.
انظر « أمالي المرتضى ١ : ١٣٢ ، تأريخ بغداد ٦ : ٩٧ ، الملل والنحل ١ : ٥٦ ، سفينة البحار ٢ : ٥٩٧ ، الاعلام ١ : ٤٣ . »

(214)

يأتوا بمثله ، وتركهم المعارضة مع تكرار التحدي عليهم وطول التقريع لهم ، فإذا عجز العرب عن ذلك فنحن أولى بالعجز.
ومن قائل يقول : وجه الاعجاز فيه هو ما اختص به من الفصاحة والبلاغة التي بهرم عند سماعها ، وطأطأوا رؤوسهم عند طروقها ، وعليه الاكثرون.
فإن عسى اعترض المعترض وقال:
ماذا أعجزهم ؟ وما ذا أبهرهم ؟ ألفاظ القرآن أم معانيه ؟! إن قال : أردت الالفاظ مع شيء منهما لا يجب فضل البته على تقدير الانفراد ، لان الالفاظ [لا] تراد لنفسها ، وإنما تراد لتجعل دلالات على المعاني ، ولان الالفاظ التي نطق بها القرآن ليست إلا أسماء وأفعالا وحروفا مرتبطا بعضها ببعض ، ويستعملونها في مخاطباتهم ، وكذلك الجمل المنظومة.
وإن قال : أعجزهم المعاني . يقال له : أليس انهم كانوا أرباب العقول وأهل الحجى ، يدركون غوامض المعاني بأفهامهم ، ولهم المعاني العجيبة ، والتمثيلات البديعة ، والتشبيهات النادرة.
وإن قال : بهرم النظم العجيب . يقال له : أليس . معنى النظم هو تعليق الكلم بعضها ببعض ، وهي الاسماء والافعال والحروف ، ومعرفة طرق تعلقها ، كتعلق الاسم بالاسم ، بأن يكون خبرا عنه

أوصفة له أو عطف بيان منه ، أو عطفا بحرف عليه ، إلى ماشاكله من سعة وجوهه ، وكتعلق الاسم بالفعل ، بأن يكون فاعلا له ، أو مفعولا ، إلى سائر فروعه واتباعه ، وكتعلق الحرف بهما كما هو مذكور في كتب النحو ، وهم كانوا يعرفون جميع ذلك ، وكانوا يستعملونه في أشعارهم وخطبهم ومقاماتهم ، ولو لم يعرفوا وجوه التعلق في الكلم ، ووجوه التمثيلات والتشبيهات ، لما تأتي لهم الشعر الذي هو نفث السحر.

فحين تأتي لهم ذلك ، ومع هذا عجزوا عن المعارضة ، دل على أن الله تعالى أحدث فيهم عجزا ومنعا.

(215)

قال : ولان الاعجاز في القرآن لو كان لمكان اختصاصه بالفصاحة والبلاغة لنزل القرآن من أوله إلى آخره في أعلى مراتب الفصاحة ، ولكان كله على نسق قوله تعالى : « وقيل يا ارض ابلعي مائك ويا سماء اقلعي وغيض الماء . . . » (٢) . وليس كله نزل على هذا النسق ، بل فيه ما هو في أعلى مراتب الفصاحة كما ذكرنا ، وما هو دونه كقوله تعالى : « تبت يدا أبي لهب وتب » و »اذَا جَاءَ نَصْرُ الله وَالْفَتْحُ » و« قُلْ يَا اَيُّهَا الْكَافِرُونَ . «

ولان الحال لا تخلو إما أن يقال لارتبة في الفصاحة أعلى من رتبة القرآن ، كما ذهب إليه بعض أهل العدل ، فقالوا : لو كان في المقدور رتبة أعلى منها لانزل الله سبحانه وتعالى عليها القرآن ، إذ لا يحسن أن يقتصر المكلف على أدنى البيانين مع قدرته على أعلاهما ، ولان في أعلى البيانين وجه الدلالة على صدق الرسول أقوى.

واما أن يقال : بأن القرآن وإن كان فصيحا بليغا ففي مقدور الله تعالى ما هو أعلى منه مرتبة في الفصاحة . فيقول المعترض فهلا أنزله من أوله إلى آخره على أعلى مراتب الفصاحة التي ليس وراءها منتهى.

قال : فهذا دليل على أن العمدة في الاعجاز ليس اختصاصه بالفصاحة والبلاغة لكن عجز ومنع أحدثهما الله تعالى فلم يشتغلوا بالمعارضة.

ومنها : ان الله تعالى أنزل القرآن وأودع فيه من العلوم ما علم أن حاجة الخلق تمس إليه إلى قيام الساعة ، لاجرم بذل العلماء في كل نوع منه مجهودهم ، واستفرغوا فيه جهدهم ووسعهم ، فأهل الكلام ــ خصوصا أهل العدل والتوحيد ــ استظهروا في ما ذهبوا إليه من العدل والتوحيد بالآيات الواردة فيه على صحة ما اعتقدوه ، وعلى [إبطال] ما ذهب إليه أهل الاهواء والبدع وفساد ما انتحلوا.

وأهل الفقه غاصوا في بحور النصوص فاستنبطوا منها المعاني وفرعوا الاحكام عليها.

(2)سورة هود ١١ : ٤٤ .

(216)

وأهل التأويل خاضوا في محكمها ومتشابهها ، ومجملها ومفصلها ، وناسخها ومنسوخها.
وأهل النحو بسطوا الكلام في تصانيفهم بسطا فكل أنفق على قدر ما رزق ، ثم لم يبلغنا عن واحد منهم أنه شمر ذيله وادرع ليله (٣) في بيان وجه الاعجاز على التفصيل سورة فسورة وآية فآية ، فابتدأ مثلا بفاتحة الكتاب فكشف عن وجه الاعجاز في ثلاث آيات منها ، ثم ترقى إلى ثلاث آيات اخر فكشف عنها أيضا وجه الاعجاز إلى أن ينتهي إلى آخرها ، مع شدة الحاجة إلى ذلك في كل زمان ، إذ حجة الله تعالى قائمة ، ومعجزته على وجه الدهر باقية.
وكذلك لم ينقل أنهم صنفوا في هذا الباب على هذا الوجه تصنيفا مع تهالكم وولوعهم ، والعجب أنهم صنفوا في حلي الصحابة والتابعين وهيئاتهم ، فذكروا الطوال منهم والقصار ، ومن ابتلي منهم بالعمى والعور والعرج والعجمة والزمانة والشلل ، مع أن بالخلق مندوحة وغنية عن ذلك.
وهذا أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ (4) صنف كتبا في الجد والهزل تكاد لا تعد ولا تحصى ، فصنف كتابا سماه « القعرة والشفرة » (٥) وآخر سماه « مفاخرة الشتاء والصيف » إلى أشباه هذا كثيرة ، صعد فيها وصوب ، وشرق وغرب ،

(3)يقال : « شمر ذيلا وادرع ليلا » أي استعمل الحزم واتخذ الليل جملا . « الصحاح ـــ درع ـــ ٣ : ١٢٠٧ » . (٤) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء ، الليثي ، أبوعثمان ، الشهير بالجاحظ : كبير أئمة الادب ، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة ، ولد سنة ١٦٣ هـــ ، وكان مشوه الخلقة ، وفلج في آخر عمره ، له تصانيف كثيرة ذكرت في مظان ترجمته ، قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه ، مات في البصرة سنة ٢٥٥ هـــ.
انظر « تأريخ بغداد ١٢ : ٢١٢ ، وفيات الاعيان ٣ : 470|506 ، لسان الميزان ٤ : ٣٥٥|١٠٤٢ ، ميزان الاعتدال ٣ : ٣٤٧|٦٣٣٣ ، شذرات الذهب 2 : 121 ، الاعلام ٥ : ٧٤. »

(5)إمرأة قعرة وقعيرة : بعيدة الشهوة ؛ عن اللحياني ، وقيل : هي التي تجد الغلمة في قعر فرجها ، وقيل : هي التي تريد المبالغة ، وقيل : نعت سوء في الجماع « لسان العرب ـــ قعر ـــ ٥ : ١٠٩

» .
والشفرة والشفيرة من النساء : التي تجد شهوتها في شفرها فيجيء ماؤها سريعا ، وقيل : هي التي تقنع من النكاح بأيسره ، وهي نقيض القعيرة « لسان العرب ــ شفر ــ ٤ : ٤١٩ . »

(217)

وحشاها بما لا حاجة للخلق فيه إلى معرفته ، ثم لما آل الامر إلى بيان وجه الاعجاز على التفصيل آية فآية وسورة فسورة ، ضم شفتيه ضما ، وختم على لسانه ختما ، فلم ينبس بكلمة أو كلمتين ، ورضي من الغنيمة بالاياب (٦. (

وإذ صح أن السلف رحمهم الله مع تقدم الخواص منهم في علم البيان ، والتبحر في الاحاطة بحقائق المعاني ، وصدق رغبتهم في إحراز الثواب ، وحاجتهم إلى أن يكون لهم لسان صدق في الآخرين ممر الاحقاب ، لم يشتغلوا ببيان الاعجاز على التفصيل في كل آية منه ، بل أعرضوا من ذلك بواحدة مع أنهم أشاروا إلى ذلك على سبيل الاجمال ، والحال لا تخلو إما أن يقال خفي عليهم وجه الاعجاز على التفصيل على هذا الوجه ، فلم يقفوا عليه و لم يهتدوا إليه أولا . فإن قيل:

خفي عليهم و لم يقفوا عليه و لم يجدوا طريقا إليه . فيقال : إذن مؤنة البحث والتنقير عنهم ساقطة ، ووجوه العذر لهم في الاعراض عن ذلك ظاهرة.

ولئن لم يخف عليهم فلم لم يصرفوا معظم همهم إلى هذا الامر العظيم ، والخطب الجسيم ، فيصنفوا ويشرحوا كما صنفوا في فروع الاحكام من الحلال والحرام ، وصنفوا في فروع الكلام ، فلم يبق إلا أن يقال : أحدث في الكل منعا منعهم عن ذلك لمصلحة رآها فيه.

فهذه عدة أسئلة فليتفضل أدام الله علوه بالاجابه عنها ، والله يعصمه من الخطأ والزلل ، ويوفقه لاصابة القول والعمل ، إنه على ما يشاء قدير . تمت .

* *

(6)مثل سائر ، أول من قاله امرؤ القيس بن حجر في بيت له ، وهو:

وقد طوفت في الآفاق حتى * رضيت من الغنيمة بالاياب

يضرب عند القناعة بالسلامة ، « مجمع الامثال ١ : ٢٩٥ | ١٥٦٠ . »

(218)

بسم الله الرحمن الرحيم

نمقت يد الاخ في الله الامام الصمصام زاده الله في الدين طمأنينة وثلجا (٧) ، وفي مواقف الجدل فوزة وفلجا (٨) ، صحيفة قد احتبى في تجويدها وتربع ، وتبدع في إنشائها وتبرع ، ولم يألها تمليحا وترشيقا ، وما ادخر عنها توشيحا وتطويقا ، وخرج سؤالات لوصك بها ابن الاهتم لهتمت أسنانه (٩) ، أو ابن المقفع (١٠) لقفعت بنانه ، أو ابن القرية (١١) لبقى خابطا في مرية (١٢) ، وإن أفرغ

---

(7)يقال : ثلجت نفسي بالامر تثلج ثلجا ، وثلجت تثلج ثلوجا إذا اطمأنت إليه وسكنت ، وثبت فيها ووثـــقت به « النهاية ـــ ثلج ـــ ١ : ٢١٩. »

(8)الفالج : الغالب أو المنتصر ، انظر « النهاية ـــ فلج ـــ ٣ : ٤٦٨. »

(9)صكه ضربه شديدا ، ومنه قوله تعالى : « فصكت وجهها » ، وابن الاهتم هو عمرو بن سنان الاهتم ، وإنما لقب أبوه سنان بالاهتم لانه هتمت ثنيته يوم الكلاب أي كسرت ، يقال : هتمت الثنيه إذا كسرتها ، وهتمت هي إذا انكسرت.

وعمرو هذا من أكابر سادات بني تميم وشعرائهم وخطبائهم في الجاهلية والاسلام وهو بليغ القول ، فصيح العبارة . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إن من البيان لسحرا » لما سمع منه ما قاله في حق الزبرقان بن بدر . انظر شرح رسالة ابن زيدون عند الكلام على قوله : (وعمرو بن الاهتم إنما سحر ببيانك) . « هـــ م . »

(10)عبد الله بن المقفع : من أئمة الكتاب ، وأول من عنى في الاسلام بترجمة كتب المنطق ، ولد في العراق مجوسيا ، وأسلم على يد عيسى بن علي (عم السفاح) ، وولي كتابة الديوان للمنصور العباسي ، وأنشأ وسائل غاية في الابداع ، واتهم بالزندقة فقتله في البصره أميرها سفيان بن معاوية المهلبي سنة ١٤٢ هـــ ، وأما المقفع أبوه فاسمه المبارك ، ولقب بالمقفع لان الحجاج ضربه فتقفعت يده أي تشنجت.

انظر « أمالي المرتضى ١ : ٩٤ ، لسان الميزان ٣ : ٣٦٦ ، الاعلام للزركلي ٤ : ١٤٠. »

(11)هو أيوب بن زيد بن قيس بن زرارة الهلالي : أحد بلغاء الدهر ، خطيب يضرب به المثل ، يقال : « أبلغ من ابن القرية » والقرية جدته ، قتله الحجاج سنة ٨٤ بعد أن أسره في وقعة دير الجماجم بعد أن قال له : والله لازيرنك جهنم ! قال : فأرحني فإني أجد حرها ! فأمر فضربت عنقه . ولما رآه قتيلا قال : لو تركناه حتى نسمع كلامه . وأخباره كثيرة .

انظر « وفيات الاعيان ١ : 250|106 ، الكامل في التاريخ ٤ : ٤٩٨ الاعلام ٢ : ٣٧ » .

(12)المراء : الجدال ، والتماري والمماراة : المجادلة على مذهب الشك والريبة « النهاية ـــ مرا ـــ ٤ : ٣٣٢ . »

(219)

صماخ قريته (١٣) ، وهكذا جحاجحة العرب ، لا تتخطاهم في رشق أصابه ، ولا تسقط لنازعهم في قوس نشابه (١٤. (

وسألني الاجابة عن تلك السؤالات بنظم رسالة من أبلغ الرسالات ، تقع من السائل موقع الفرات (١٥) من الحران (16) ، وتنزل منه منزلة السداد من الحيران ، وكرر الطلب وردد ، وألح فيه وشدد ، وضيق علي الامر وعوصه ، وقال : أنت الذي عينه الله وشخصه ، حتى لم أجد بدا من إجابته إلى ما أراد ، وإسعافه بما ابدأ فيه وأعاد ، وكان أمثل الامرين أن الجم نفسي وأحجرها ، وأن القمها حجرها ، ولا أفغر بمنطق فما ، ولا أبل بجواب قلما ، وليس بين فكي لسان دافع ، وليس في ماضغي ضرس قاطع ، ولا بين جنبي نفس حركة نشيطة ، ولكن حردة (17) مستشيطة ، لما أنا مفجوع به من مفارقة كل أخ كان يسمع مني الكلمة الفذة فيضعها على رأسه ، ويعض عليها بأضراسه ، ويتقبلها بروحه ، ويلصقها بكبده ، ويجعلها طوقا في أعلى مقلده ، ويسكنها صميم فؤاده ، ويخطها على بياض ناضره بسواده ، لولا خيفة أن تسول له نفسه أنني أقللت الاكترات بمراسلته ، وأخللت الاحتفال بمسألته ، وأن يقول بعض السمعة ـــ ممن يحسب لساني لسان الشمعة :ـــ

أقسم بالله قسما ما وجد في ديسم (18) دسما ، فمن ثم ضرب عنه صفحا ، وطوى

---

(13)أفرغ : صب ، وصماخ ككتاب : الاذن ، وكغراب : الماء ، وقرية : الحوصله . والمراد بها ما اشتهر به من البلاغة حتى صارت له كالعلم ، كما صار اسم حاتم للكرم ، والتفسير عليها دون القرية واحدة القرى ، ودون القربة سقاء الماء واللبن ، أي وإن صب اذن حافظته ، أو استنزف ماء قريحته ، كناية عن إجهاد نفسه في البيان ، وخنق فرسه في الميدان ، فهذه الاسئلة إن قرعت له سمعا يضيق بها ذرعا ، ويبقى خابطا في الشك والجدل ، لا حول له بها ولا حيل . « هـــ م. »

(14)لا تسقط أي لا تخطئ ، ونزع القوس مدها ، ونشابه أي نبله ، أي هذه السؤالات كما يقصر عنها المذكورون من أئمة الادب ، فإنها تصيب بلاغة سادات العرب ، ولا تخطئ نبل متقوسهم في ارب . « هـــ م. »

(15)الفرات : أشد الماء عذوبة « لسان العرب ـــ فرت ـــ ٢ : ٦٥. »

(16)الحران : العطشان « مجمع البحرين ــ حرر ــ ٣ : ٢٦٤. »

(17)يقال : حرد الرجل حرودا إذا تحول عن قومه وانفرد . انظر « النهاية ــ حرد ــ ١ : ٣٦٢. »

(18)الديسم : بالفتح ولد الدب ، قال الجوهري : قلت لابي الغوث : يقال إنه ولد الذئب من الكلبة ،

==

(220)

عنه كشحا ، و لم يوله لحه طرف ، و لم ينطق في شأنه بحرف.

أما العرب فقد صح أن لغتها أصح اللغات ، وأن بلاغتها أتم البلاغات ، وكل من جمح في عنان المناكرة ، وركب رأسه في تيه المكابرة ، و لم يرخ للتسليم والاذعان مشافره (١٩) فما أفسد حواسه ومشاعره ! وهو ممن أذن بحرب منه لعقله الذي هو إمامه في المراشد ، ولتمييزه الذي هو هاديه إلى المقاصد.

إعلم يا من فطر على صلابة النبع ، وامد بسلامة الطبع ، ووفق للمشي في جادة العدل والانصاف ، وعصم من الوقوع في عاثور الجور والاعتساف ، فإن واضع هذا اللسان الافصح العربي من بين وضاع الكلام ، إن لم يكن واضعه رافع السماء وواضع الارض للانام ، فقد أخذ حروف المعجم التي هي كالمادة والعنصر ، وبمنزلة الاكسير والجوهر ، فعجمها مبسوطات فرائد ، ودافها (٢٠) الواحد فالواحد ، وتقلقلت في يده قبل التأليف ، تقلقل الدنانير في أيدي الصياريف (٢١ (، حين تراهم ينفون زيفها وبهرجها (٢٢) ، ويصطفون إبريزها وزبرجها ، فتخير من بينها أطوعها مخارج ، وتنخل منها أوطأها

==

فقال : ما هو إلا ولد الدب ، وقال في المحكم : إنه ولد الثعلب . وقال الجاحظ : إنه ولد الذئب من الكلبة ، وهو أغبر اللون وغبرته ممتزجه بسواد ، وحكمه تحريم الاكل على كل تقدير » . الحيوان ١ : ٣٤٣. »

(19)الشفر : بالضم ، وقد يفتح ، حرف جفن العين الذي ينبت عليه الشعر « النهاية ــ شفر ــ ٢ : ٤٨٤. »

(20)داف الشيء دوفا وأدافه : خلطه » لسان العرب ــ دوف ــ ٩ : ١٠٨. »

(21) لم يرد جمع الصيرفي أي النقاد على هذه الصيغة إلا في الشعر قال ابن منظور : « الجمع صيارف وصيارفة ، والهاء للنسبة ، وقد جاء في الشعر الصيارف ، فأما قول الفرزدق:
تنفى يداها الحصى في كل هاجرة * نفي الدراهيم تنقاد الصيارف

فعلى الضرورة لما احتاج إلى تمام الوزن أشبع الحركة ضرورة حتى صارت حرفا. »

وقال الفيروز آبادي : « وقد جاء في الشعر صياريف » ولعل ما أورده الزمخشري تبعا لاقتضاء سجع العبارة ظاهرا ، انظر « لسان العرب ٩190 : ، القاموس المحيط ٣ : ١٦٢ ، مادة صرف . »
(22) البهرج : الباطل ، واللفظة معربة . وقيل كلمه هنديه أصلها نبهله ، وهو الردئ ، فنقلت إلى الفارسية ، فقيل نبهره ، ثم عربت فقيل : بهرج . « النهاية ــ بهرج ــ ١ : ١٦٦ . »

(221)

مدارج وميز أسلسها على الاسلات (٢٣) ، وأعذبها على العذبات (٢٤) ، وأحلاها في الذوق وأسمحها ، وأبهاها عند السبر وأملحها ، وأبعدها من مج الاسماع ، وأقربها امتزاجا بالطباع ، وأوقعها لفحول الامة الناغمة بأجراسها ، وأحسنها طباقا لطرق أنفاسها.
ولما انتقل من انتقاء وسائطها ، بعد انتقاد بسائطها ، إلى أن يؤلف ويركب ، ويرصف ويرتب ، عمد في عمل التراكيب إلى أشرف الانماط والاساليب ، فألف أنماطا تستهش (٢٥) أنفس الناطقين ، وكلمات تتحلب (٢٦) لها لهى (٢٧) الذائقين ، وتجول في فجوات الافواه ، فتتمطق (٢٨) بها مستلذات ، ويطرق بها الآذان فتهوي بها مغذات (٢٩) ، وما طنت على مسامع أحد من أجيال الاعاجم ، وأخياف الطماطم (٣٠) إلا أصغى إليها متوجسا ، وأصاخ لها مستأنسا ، وأناس (٣١) فوديه (٣٢) مستعجبا ، وأمال عطفيه مستغربا ، وقال : ما هذا اللسان المستلذ على الصماخ (٣٣) إيقاعه ، المحولى في مخارق الآذان استماعه ، المفارق لجميع اللغات والالسنة ، المصون من الحروف الملكنة.

---

(23) الاسلات : جمع أسلة ، وهي طرف اللسان « النهاية ــ أسل ــ ١ : ٤٩. »
(24) عذبة اللسان : طرفه ، والجمع « عذبات » كقصبة وقصبات » . مجمع البحرين ــ عذب ــ ٢ : ١١٧. »

(25)يقال : استهشني أمر كذا فهششت له أي استخفني فخففت له « لسان العرب ـــ هشش ـــ ٦ : ٣٦٤. »

(26)تحلب العرق وانحلب أي سال « الصحاح ـــ حلب ـــ ١ : ١١٥. »

(27)جمع لهاة ، وهي اللحمات في سقف أقصى الفم » النهاية ـــ لها ـــ ٤ : ٢٨٤. »

(28)يقال : ذاقه فتمطق له إذا ضم شفتيه إليه وألصق لسانه بنطع فيه مع صوت « أساس البلاغة : ٤٣٢. »

(29)مغذات : مسرعات.

(30)أحياف أي مختلفون ، والطماطم جمع طمطم ، وهو الذي في لسانه عجمة لايفصح . انظر « أساس البلاغة ـــ خيف ـــ ١٢٤ ، الصحاح ـــ طمم ـــ ٥: ١٩٧٦. »

(31)ناس الشيء ينوس نوسا ونوسانا : تحرك وتذبذب متدليا . « لسان العرب ـــ نوس ـــ ٦ : ٢٤٥. »

(32)الفَوْدُ : معظم شعر الرأس ممايلي الاذن ، ووفودا الرأس جانباه « لسان العرب ـــ فود ـــ ٣ : ٣٤٠. »

(33)صماخ الاذن بالكسر : الخرق الذي يفضي إلى الرأس ، وهو المسيع ، وقيل هو الاذن نفسها « مجمع البحرين ـــ صمخ ـــ ٢ : ٤٣٧ . »

(222)

وما ذاك إلا لان حكم المسموعات حكم المبصرات والممسوسات ، وغيرها من سائر المحسوسات ، فكما أن الاعين فارقة بين المناظر العثاث والملاح ، والاوجه القباح والصباح ، والانوف فاصلة بين الاعطار الفوائح ، وبين مستكرهات الروائح ، والافواه مميزة بين طعوم المآكل والمشارب وبين المستبشعات منها والاطائب ، والايدي مفرزة لما استلانت مما استخشنت ، ولما استخفت مما استرزنت (٣٤) ، كذلك الآذان تعزل مستقيمات الالحان من عوجها ، وتعرف مقبول الكلام من ممجوجها ، والالسن تنبسط إلى ما أشبه من الكلام مجاج الغمام (٣٥) ، وتنقبض عما يشاكل منه اجاج (٣٦) الجمام (٣٧ (، وهذه طريقة عامية يسمعها ويبصرها ويسلمها ولا ينكرها من يرى به شيء من طرف ، أو يرامق (٣٨) بأدنى عرف.

وأما الطريقة الخاصية التي تضمحل معها الشبه ، ويسكت عندها المنطق المفوه ، فما عنى بتدوينه العلماء ، ودأب في تضييفه العظماء ، في ألفاظ العربية وكلمها ، من بيان خصائصها ونوادر حكمها ، مما يتعلق بذاوتها ، ويتصل بصفاتها ، من العلمين الشريفين ، والعلمين المنيفين ، وهما علم الابنية

وعلم الاعراف ، المشتملان على فنون من الابواب ، وناهيك بكتاب سيبويه (٣٩) الذي

(34)رزنت الشيء أرزنه رزنا ، إذا رفعته لتنظر ما ثقله من خفته ، وشيء رزين أي ثقيل « الصحاح ــ رزن ــ ٥ : ٢١٢٣. »

(35)مجاج الغمام : مطره . انظر « لسان العرب ــ مجج ــ ٢ : ٣٦٢. »

(36)ماء اجاج أي ملح ؛ وقيل : مر ، وقيل : شديد المرارة ؛ وقيل : الاجاج : الشديد الحرارة . « لسان العرب ــ أجج ــ ٢ : ٢٠٧. »

(37)الجمة : المكان الذي يجتمع فيه ماؤه ، والجمع الجمام . « الصحاح ــ جمم ــ : 5 1890 » .

(38)رمقه بعينه رمقا : أطال النظر إليه « مجمع البحرين ــ رمق ــ ٥. » 173 :

(39)هو عمرو بن عثمان بن قنبر ، مولى بني الحارث ، يكنى أبا بشر وأبا الحسن ، الملقب بــ « سيبويه » ومعناه بالفارسية : رائحة التفاح ، ولد في إحدى قرى شيراز ، وقدم البصرة فلزم الخليل ابن أحمد ففاقه ، وصنف كتابه المعروف بــ « كتاب سيبويه » في النحو ، لم يصنع قبله ولا بعده مثله ، توفي سنة ١٨٠ هــ ، وفي مكان وفاته والسنة التي مات بها خلاف.

انظر « انباه الرواة ٢ : ٣٤٦ | ٥١٥ ، وفيات الاعيان ٣ : ٤٦٣ | ٥٠٤ ، تأريخ بغداد ==

(223)

هو الكتاب ، يطلق فلا تضله الالباب ، وهو الديوان الاقدام ، والميزان الاقوم ، والقانون الذي هو لكل محتذ مثال ، والمعقل الذي لكل منضو تمثال ، وكأنه الرأس الذي هو رئيس الاعضاء ، والراز (٤٠) الذي بيده مطمر (٤١) البناء ، والامام الذي إن نزلت بك شبهة أنزلتها به ، وإن وقعت بك معضلة أوردتها على بابه ، والحكمة التي قيدت بها الفلاسفه فهي حاجلة (42) فراسفه (٤٣. (

وأحـــربـــأن تعتاص تلك وتشتدا * حشا غامضات سيبويه كتابه

فلم يجدوا من مرجع القهقرى بدا * إذا وقع الاحبار فيها تحيروا

آخران:

على عمرو بن عثمان بن قنبر * ألا صلى المليك صلاة صدق

بـــنـــو قـــلـــم ولا أبناء منبر * فـــإن كتابه لـــم يغن عـــنـــه

ثم لا تسأل عن تناسق هذه اللغة وتتاليها ، وعن تجاذب أطرافها وتجاليها ، وما ينادي عليه طرق اشتقاقها من حسن تلاؤمها واتفاقها ، يصادف المشتق الصيغ متناصره ، آخذا بعضها بيد بعض

متخاصره ، ووراء ذلك من الغرائب ما لا يترف وإن نزف البحر ، ومن الدقائق ما لا يدق معه الكهانة والسحر ، ولايعرف ذلك إلا من فقه فيها وطب (٤٤) ، وزاولها مذ شب إلى أن دب ، وضرب آباطها (45) ، حتى بلغ نياطها (٤٦. (

==

6658|195 : 12 ، الاعلام ٥ : ٨١. »

(40)الراز : رأس البنائين « النهاية ـــ روز ـــ ٢ : ٢٧٦. »

(41)المطمر : الزيج الذي يكون مع البنائين « الصحاح ـــ طمر ـــ ٢ : ٧٢٦. »

(42)الحجل والحجل : القيد ، يفتح ويكسر ، والحجل : مشي المقيد ، وحجل يحجل حجلا إذا مشى في القيد « لسان العرب ـــ حجل ـــ ١١ : ١٤٤. »

(43)الرسف : مشي المقيد ، ورسف في القيد : مشى مشي المقيد ، وقيل : هو المشي في القيد رويدا ، فهو راسف « لسان العرب ـــ رسف ـــ ٩ : ١١٨. »

(44)رجل طب بالفتح ، أي عالم « الصحاح ـــ طبب ـــ ١ : ١٧١. »

(45)من المجاز قولهم : نزل بإبط الرمل ، وهو مسقطه ، وبإبط الجبل ، وهو سفحه ، وضرب آباط المفازة ، وتقول : ضرب آباط الامور ومغابنها واستشف ضمائرها وبواطنها « أساس البلاغة ـــ أبط ـــ ١. »

(46)النوط : عرق غليظ علق به القلب من الوتين ، قال أبوطالب في رسول الله صلى الله عليه وآله :

==

ولا أذكر لك ما في كلام فصحائهم ، من خطبائهم وشعرائهم ، من طرق فصاحة انتهجوها ، وخيل بلاغة ألجموها وأسرجوها ، وما وجد في مراكضهم ومضاميرهم ، من سبقهم ومحاضيرهم ، من الافتنان في بابي الكناية والمجاز ، وإصابة مواقع الاشباع والايجاز ، والابداع في الحذف والاضمار ، والاغراب في جملة اللطائف والاسرار ، فإنك تعارضني بأن هذه الاشياء أشرك الله فيها العقلاء ، ورأينا الاعاجم قد صنفوا فيها معاجم ، فكم في الفرس من الفرسان ، وما أهل خراسان بالخرسان ، على أني لو قلت تلك (٤٧) لوجدت مقالا ، وصادفت لفرسي مجالا ، ولاصبت فيه وجها من الاحتجاج ، وردا للشغب واللجاج ، فإن هذه الاشياء لا تحمل ولا تجزل ولا تنبل ولا تفحل ، ولا

تحسن ولا تبهى ، ولا تختال ولا تزهى ، إلا واقعة في هذا اللسان ، دائرة بين أظهر هذا البيان ، ومثل ذلك مثل الوشي الفاخر ، والحلي من سري الجواهر ، تلبسها الحسناء فتزيدها حسنا إلى حسن ، وتعطيها زينا إلى زين ، فإن نقلتها إلى الشوهاء تخاذل أمرها وتضاد ، وتناقض وتراد ، وعصف بنصف حسنها وزينها ، ما تطلعه الشوهاء من قبحها وشينها ، وكفاك بما عددت عليك أدلة متقبلة ، وشهودا معدلة ، على أن هذا اللسان هو الفائز بالفصل ، الحائز للخصل (٤٨) ، وأن ما عداه شبه (٤٩) إلى العسجد ، وشب (٥٠) إلى زبرجد.

ثم اسمع بفضلك ، فقد آن أن أفذلك (٥١) ، وأختم هذا الفصل بما يحلق

==

بني أخـــــــي ونوط القلب منـــــــي * وأبـــيـــض مـــــــــاؤه غـــدق كثير

ومن المجاز : مفازة بعيدة النياط أي الحد والمتعلق ، ولا يخفى ما في المتن من تعبير مجازي ، انظر « أساس البلاغة ـــ نوط ـــ ٤٧٦. »

(47)الكلمه قلقة في هذه العبارة.

(48)يقال : أصاب خصله واحرز خصله : غلب على الرهان ، وقال بعضهم : الخصلة الاصابة في الرمي « لسان العرب ـــ خصل ـــ ١١ : ٢٠٦. »

(49)الشبه والشبه : النحاس الاصفر ، انظر « لسان العرب ـــ شبه ـــ ١٣ : ٥٥. »

(50)الشب : حجر معروف يشبه الزاج ، وقد يدبغ به الجلود « النهاية ـــ شبب ـــ ٢ : 439 » .

(51)يقال : فذلك حسابه أنهاه وفرغ منه ، « القاموس المحيط ـــ فذلك ـــ ٣ : 315 » .

الحلاقم (٥٢) ويَجز الغلاصم(٥٣) ، وهو أن الله تعالى ادخر لمحمد عليه صلاته وسلامه كل فضيلة ، وزوى عنه كل رذيلة ، واختصه بكل توقير ، وبعد حاله من كل تحقير ، واختار له كل ما يقع عليه الاختيار ، وخوله ما يطول به الافتخار ، فجعل ذاته خيرة الانس ، وصفوة الانبياء ، وسيد الاموات والاحياء ، والامة التي انتضاه منها خير امة ، والائمة الذين استخلفهم بعده خير أئمة ، وكتابه الذي أنزل عليه خير كتاب ، وأصحابه الذين قرنهم به خير أصحاب ، وزمانه الذي بعثه فيه خير زمان ، ولسانه الذي نطق به خير لسان ، ولا يحسن أن يترل على أفضل رسول ، أفضل كتاب بلسان

مفضول ، ومن لم يعقل عن الله تعالى : (بلسان عربي مبين) (٥٤) فلا عقل ، ومن لم ينقل : (خير اللسان العربي) فلا نقل ، ثم هو لسان أهل الجنة ، وذلك طول من ذي الطول والمنة.
ووجدت العرب كما يتباهون بالشدة في مواطن الحرب ، وبالنجدة في مقاوم الطعن والضرب ، وبدقهم في النحور صدور الرماح ، وحطمهم في الرقاب متون الصفاح ، يتحلقون فيعدون أيامهم في الجاهلية والاسلام ، ووقائعهم في أشهر الحل والاحرام ، كذلك حالهم في التباهي بالكلام الفحل ، والتباري في المنطق الجزل ، والافتخار بالالسن اللد ، وإرسالها في أودية الهزل والجد ، وبثبات الغدر (٥٥) في مواقف الجدل والخصام ، وعند مصاك الركب ومصاف الاقدام ، ليسوا في مجالدتهم بأشد منهم في مجادلتهم ، ولا في مقاتلتهم بأحد منهم في مقاولتهم ، ولقد نطقت بذلك أشعارهم ، وشهدت به آثارهم .

---

(52)الحلقوم : الحلق ، وقال الزجاج : الحلقوم بعد الفم وهو موضع النفس وفيه شعب تتشعب منه ، وهو مجرى الطعام والشراب « المصباح المنير ــ حلق ــ ١٤٦. »

(53)الغلصمة : رأس الحلقوم بشواربه وحرقدته ، وهو الموضع الناتئ في الحلق ، والجمع الغلاصم ، وقيل : الغلصمة اللحم الذي بين الرأس والعنق . وقيل : متصل الحلقوم بالحلق إذا ازدرد الآكل لقمنه فزلت عن الحلقوم ، وقيل : هي العجرة التي على ملتقى اللهاة والمريء ، « لسان العرب ــ غلصم ــ. « 441 : 12

(54)سورة الشعراء ٢٦ : ١٩٥ .

(55)يقال : رجل ثبت الغدر : أي ثابت في قتال أو كلام « الصحاح ــ غدر ــ ٢ : ٧٦٦ » .

(226)

قال لبيد (٥٦: (

ببياني ولـــســـانـــي وجدل * ومقام ضـــيق فرجته

زل عن مثل مقامي وزحل * (57) لو يقوم الفيل أو فياله

ورأيتهم يسؤون بين الجبناء واللكن ، ولا يفصلون بين العي والجبن ، ويستنكفون من الخطأ واللحن .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ، واسترضعت في سعد بن بكر ، فأنى يأتيني اللحن » (٥٨. (

ويتحرون أن ينطقوا بالكلم الفصاح ، وأن يمضوا فيها على الاساليب الصحاح ، باحثين عن مفرق

الصواب ، ومصيبين منحر الاعراب ، متيقضين لما يستفصح ، متنبهين على ما يستملح ، يسمعون الكلمة العيناء فيشرئبون لها ، واللفظة العوراء فيشمئزون منها.

قال بعض امراء العرب لاعرابي رأى معه ناقة فأعجب بها : هل أنزيت عليها ؟ قال : نعم أضربتها أيها الامير ! قال : أضربتها ؛ قد أحسنت حين أضربتها ، نعم ما صنعت إذ أضربتها ، فجعل يرددها .

قال الراوي : فعلمت أنه إنما يريد أن يثقف بها لسانه .

---

(56)لبيد بن ربيعة بن مالك ، أبوعقيل العامري ، أحد الشعراء الفرسان الاشراف في الجاهلية من أهل عالية نجد ، أدرك الاسلام ، ووقد على النبي ــ صلى الله عليه وآله ــ ، ويعد من الصحابة ومن المؤلفة قلوبهم ، وترك الشعر ، فلم يقل في الاسلام إلا بيتا واحدا ، قيل هو:

ما عاتب المرء الكريم كنفسه * والمرء يصلحه الجليس الصالح

وسكن الكوفة ، وعاش عمرا طويلا ، وهو أحد أصحاب المعلقات ، ومطلع معلقته:

عفت الديار محلها فمقامها * بمنى تأبد غولها فرجامها

توفي سنة ٤١ للهجرة . « الاعلام ٥ : ٢٤٠ » . (٥٧) زحل الشيء عن مقامه : أي زل عن مكانه « لسان العرب ــ زحل ــ ١١ : ٣٠٢ » وفيه البيت الثاني عن البيد.

(58)ذكره المتقي الهندي في كتز العمال ١١ : ٤٠٤ | ٣١٨٨٤ باختلاف يسير .

(227)

وسمعت أنا كوفيا يسأل بدويا عن ماوان (٥٩ (وقد شارفناها ، فقال : هي ميهة . فقال الكوفي : أميه مما كانت ؟ قال : إي والله أموه مما كانت . كأنه يصححها عليه.

ورأيت الخلق في المسجد الحرام يترادون الكلام في اللغات الفصحى ، ويتعادون من له في ميدان البلاغة الخطا الفسحى ، ويتذاكرون الكلمات التي تزيغ فيها الحاضرة (٦٠) عن السنن ولا ينقحونها من العجر (61) والابن (٦٢) كأن أفواههم للحكمة ينابيع ، وهم على ذلك مطابيع.

هذا ، ولما سمعت العرب القرآن المجيد ملات الروعة قلوبهم وملكت نفوسهم ، وهز الاستعجاب مناكبهم ، وأنغض رؤوسهم ، وبقي أذلقهم لسانا ، وأعرقهم بيانا ، كالمحجوج إذا أبكتته الحجة ، فأخذته الرجة ، وكالياسر إذا أصبح مقمورا مقهورا ، فقعد مبهوتا مبهورا ، وكالصريع إذا عن له من لا يبالي بصراعه ، وكالمرتبع (٦٣) إذا غلبه من لا يلتفت إلى ارتباعه ، ولقد قابلوه بأفصح كلامهم ، فقال منصفوهم : جرى الوادي فطم على القري (٦٤) ، ومن يعبأ بالعباء مع الوشي العبقري (٦٥ .)

(59)ماوان: واد فيه ماء بين الفقرة والربذة فغلب عليه الماء فسمي بذلك الماء ماوان . قال في المعجم : فأما ماوان السنور فليس بينه وبين مساكن العرب مناسبة ولعل أكثرهم ما يدري ما السنور :وهي قرية في أودية العلاة من أرض اليمامة ، انظر « معجم البلدان ٥ : ٤٥ ، مراصد الاطلاع ٣ : ١٢٢٢. »

(60)أي أهل الحضر لانهم مظنة اللحن.

(61)العجر : جمع عجرة ، وهي العقدة في عود وغيره ، ويقال : في كلامه عجر فيه وتعجرف أي جفوة « أساس البلاغة ـــ عجر ـــ ٢٩٤. »

(62)الابن : العقد تكون في القسى تفسدها وتعاب بها » النهاية ـــ ابن ـــ ١ : ١٧. «

(63)ربع الحجر وارتباعه إشالته ورفعه لاظهار القوة » النهاية ـــ ربع ـــ ٢ : ١٨٩. «

(64)مثل سائر ، معناه : جرى سيل الوادى فطم ، أي دفن ، يقال : طم السيل الركية : أي دفنها ، والقري : مجرى الماء في الروضة ، والجمع أقرية وقريان و« على » من صلة المعنى : أي أتى على القري ، يعني أهلكه بأن دفنه ، انظر « مجمع الامثال ١ : ١٥٩ | ٨٢٣. »

(65)الوشي من الثياب معروف ، والعبقري : الديباج ، انظر « الصحاح ـــ وشي ـــ ٦ : ٢٥٢٤ ، النهاية ـــ عبقر ـــ

==

(228)

وقال الوليد بن المغيرة المخزومي (٦٦) : والله لقد نظرت فيما قال هذا الرجل ، فإذا هو ليس بشعر ، وإن له لحلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمعذق (٦٧) ، وإنه ليعلو وما يعلى (٦٨. (

وبلغنا أن أعرابيا صلى خلف ابن مسعود (٦٩) رضي الله عنه فتعتع في قراءته ، فقال الاعرابي : ارتبك الشيخ ، فلما قضى ابن مسعود صلاته ، قال : يا أعرابي إنه والله ما هو من نسجك ولا من نسج آبائك ، ولكنه عزيز من عند عزيز نزل ، وهو الحمال ذو الوجوه ، والبحر الذي لاتنقضي عجائبه . قال الله لموسى عليه السلام : إنما مثل كتاب محمد في الكتب كمثل سقاء فيه لبن كلما مخضته استخرجت زبده.

فحينما عجزوا عن المماتنة (٧٠) ، فزعوا إلى المفاتنة ، ولما لم يقدروا على المقابلة أقبلوا على المقاتلة ، فكان فزعهم إلى شيء ، ليس من المتحدى فيه في

==

3 : 173 » .

(66)الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، أبوعبد شمس ، من قضاة العرب في الجاهلية ، ومن زعماء قريش ، ومن زنادقتها ، أدرك الاسلام وهو شيخ هرم فعاداه وقاوم دعوته ، ذكره ابن الاثير في الكامل تحت عنوان : ذكر المستهزئين ومن كان أشد الاذى للنبي (صلى الله عليه وآله) ، وهو والد خالد بن الوليد ، هلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر وهو ابن خمس وتسعين سنة ، ودفن بالحجون ، انظر « الكامل في التاريخ ٢ : ٧١ ، الاعلام ٨. « 122 :

(67)أي له شعب وجذور ، وفي بعض المصادر : لمغدق ، وهو من الغدق أي الماء الكثير ، وفي بعضها الآخر : لعذق ، والعذق : النخلة ، وهو استعارة من النخلة التي ثبت أصلها.

(68)ورد باختلاف في لفظه في دلائل النبوة ٢ : ١٩٨ ، تأريخ الاسلام : ١٥٥ ، السيرة النبوية ١ : ٢٨٩ ، الوفا بأحوال المصطفى : ٥٥ ، وأخرجه الحاكم النيسابوري في مستدركه ٢ : ٥٠٦ ، عن ابن عباس ، وقال : هذا حديث صحيح الاسناد على شرط البخاري ، ولم يخرجاه.

(69)عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ، أبو عبد الرحمن ، من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) السابقين إلى الاسلام ، وولي بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) بيت مال الكوفة ، ثم قدم المدينة في خلافة عثمان ، فتوفي فيها عن نحو ستين عاما في سنة ٣٢ هـ.

انظر » الاصابة في تمييز الصحابة ٢ : ٣٦٨ | ٤٩٥٤ ، تهذيب التهذيب ٦ : ٢٤ | ٤٣ ، معجم رجال الحديث ١٠ : ٣٢٢ | ٧١٦٠ ، الاعلام ٤ : ١٣٧. «

(70)المماتنة : المعارضة في جدل أو خصومة « تاج العروس ــ متن ــ ٩ : ٣٤٠ . »

(229)

شيء ، دليلا قاطعا على تمام المعجزة ، وشاهد صدق لصحة النبوة بظهور المعجزة ، على أن عداوة المتحدي هي العجز بعينه ، والتقصير بذاته ، لان كل ذي منقبة إذا توقل (٧١) في مرتبة قد عجز عنها مدعوها ، ولم يقدروا أن يطلعوها ، كان نتيجة عجزهم أن يشتملوا على الغيظ والضجر ، وقرينة تقصيرهم أن يقصدوه بالنكاية والضرر ، وأن يقشوروه (٧٢) بالعصا ويرجموه بالحصا.

والذي طولبوا به فعجزوا عنه هو الاتيان بسورة لو كتبت بين السور ، لم تكن مشخلبة (٧٣) بين الدرر ، ولكن كواحدة منهن في حسنها وبهائها ، ونورها وضيائها ، وبيانها الباهر ، وديباجها الفاخر ، حتى لو عرضت على صيارفة المنطق ونقاده ، المميز بين زيوفه وجياده ، لقالوا هي منها بالقرب ، لم يقولوا ليس عليها ابهة دار الضرب ، والجهة التي أتاهم العجز عنها امتياز السورة عن هذه الاجناس ، التي تتقلب في أيدي الناس ، من خطب يحبرونها (٧٤) ، وقصائد يسيرونها ، ورسائل يسطرونها ،

كما أن كل واحد من هذه الاجناس له حيز ، وبعضها عن بعض متميز ، وكل مستبد بطريق خاص إليه ينتحي وإياه ينتهج ، ومثال ومنوال عليه يحتذي وعليه ينتسج ، فلو تحدي الرجل بقصيدة شاعرة فجاء بخطبة باهرة أو رسالة نادرة ، أو تحدي بخطبة أو رسالة غراء فعارض بقصيدة حذاء (٧٥) ، لم يكن على شاكلة التحدي عاملا ، ونسب إلى قلة التهدي عاجلا ، وتمثل له بقوله:

فـــحـــرم فينا لحوم البقر * شكونا إليه خراب السواد

(71)التوقل : الاسراع في الصعود « النهاية ــ وقل ــ. 216 : 5 »

(72)قشوره بالعصا : ضربه « القاموس المحيط ــ قشر ــ ٢ : ١١٧. »

(73)قال الليث : مشخلبة كلمة عراقية ليس على بنائها شيء من العربية ، وهي تتخذ من الليف والخرز أمثال الحلي « لسان العرب ــ شخلب ــ ١ : ٤٨٦. »

(74)يقال حبرت الشيء تحبيرا إذا حسنته « النهاية ــ حبر ــ ١ : ٣٢٧. »

(75)الحذو : من أجزاء القافية ، حركة الحرف الذي قبل الردف ، يجوز ضمته مع كسرته ولا يجوز مع الفتح غيره ، قاله ابن منظور في « اللسان ــ حذا ــ ١٤ : ١٧٠ » عن ابن سيده .

(230)

اريها السها (٧٦) وتريني القمر (٧٧) * فــكـــنـــا كـــمـــا قـــال من قبلنا

ذلك أن الشعر كلام ذو وزن وقري (٧٨) ، وقافية وروي ، أكثره تمويهات وتخاييل ، وأكاذيب وأباطيل ، ومن ثم سموه سحرا ، وزعموا أن لكل شاعر جنيا ، وأنه معه رئيا ، وأن ذلك الجني يخطره بجنانه ويلقنه إياه ويلقيه على لسانه.

والخطب والرسائل لا يمس طنب القريض أطنابها ، ولا تقرع يده أبوابها ، والسورة أبعد شوطا منها في التميز ، وأعلى فوقا في المباينة والتحيز ، بديباجتها الخاصة وذوقها وندائها على أن لا منظوم بطوقها ، وعلى أنها ليست من القريحة ، المعتصر لها ثرى السجيحة (٧٩ (، المستعان فيه بالروية والفكر ، المستملى من لسان الزكن (٨٠) والحجر (٨١) ، وأن مثلها معه مثل الحيوان الذي هو تسوية الله وتقديره ، مع التماثيل التي هي نقش المصور وتصويره ، عليها ضياء الجلالة الربانية ، وسيمياء (٨٢) الكتب السماوية ، وابهة المسطور في اللوح المنزل في اللوح (٨٣) وآئين (٨٤) الملقن منه وهو

(76)السها : كويكب صغير خفي الضوء في بنات نعش الكبرى ، والناس يمتحنون به أبصارهم

« لسان العرب ــ سها ــ ١٤ : ٤٠٨. »

(77)مثل سائر ، ذكره الميداني في مجمع الامثال ١ : ٢٩١ | ١٥٤٥ ، تحت عنوان « اريها استها وتريني القمر » وذكر قصته ، وقال : وبعضهم يرويه « اريها السها وتريني القمر » ، يضرب لمن يغالط فيما لايخفى.

(78)قال الزمخشري وغيره : أقراء الشعر : قوافيه التي يختم بها ، كأقراء الطهر التي ينقطع عندها ، الواحد قرء ، وقرء ، وقري ، لانها مقاطع الابيات وحدودها . « النهاية ــ قرا ــ ٤ : ٣٢. »

(79)السجيحة : الطبيعة » الصحاح ــ سجح ــ ١ : ٣٧٣. »

(80)الزكن والازكان : الفطنة ، والحدس الصادق » . النهاية ــ زكن ــ ٢ : ٣٠٧. »

(81)الحجر : العقل واللب ، لامساكه ومنعه وإحاطته بالتمييز ، وفي التنزيل : هل في ذلك قسم لذي حجر . « لسان العرب ــ حجر ــ ٤ : ١٧٠. »

(82)السومة والسيمة والسماء والسيمياء : العلامة . « لسان العرب ــ سوم ــ ١٢ : 312 . »

(83)اللوح الاول بالفتح : هو اللوح المحفوظ ، والثاني بالضم : الهواء » . لسان العرب ــ لوح ــ ٢ : ٥٨٥. »

(84)آئين : كلمة فارسية بمعنى الزينة ، استعملها الجاحظ في البخلاء في قصة محمد بن أبي المؤمل فيما حكاه عن لسانه : وكانوا يعلمون أن إحضار الجدي إنما هو شيء من آئين الموائد الرفيعة ==
.

(231)

لسان الروح ، كأنك إذا قرأتها مشاهد سبحات (٨٥) وجه فاطرك ، ومعاين لملائكة عرشه بناظرك .

عن جعفر الصادق (٨٦) رضي الله تعالى عنه : والله لقد تجلى الله تعالى لخلقه في كلامه ولكنهم لم يبصروه (٨٧. (

والمعاني التي تستودع الكتب والرسائل ، من معانيه ومؤدياته على مراحل ، وقد انطوت رصانة هذه المعاني والمقاصد تحت سلس الالفاظ العذبة الموارد ، مع

==
وفي تاريخ العتبي عند شرح هذا البيت في رثاء الصاحب بن عباد:

لم يبق للجود رسم منذ بنت ولا * للسؤدد اسم ولا للمجد آئين

قال : وكأنه تعريب آئين ، وهو أعواد أربعة تنصب في الارض وتزين بالبسط والستور والثياب الحسان ، ويكون ذلك في الاسواق والصحارى وقت قدوم ملك.
أقول : هو قوس النصر في مصطلح عصرنا هذا « هــ م. »
(85)سبحات الله : جلاله وعظمته ، وهي في الاصل جمع سبحة ، وقيل : أضواء وجهه « النهاية ـــ سبح ـــ ٢ : ٣٣٢. »
(86)أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، سادس أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، وإليه ينمى المذهب الجعفري ، لقب بالصادق لصدق حديثه ، ولد في ١٧ ربيع الاول سنة ٨٠ هــ ، أمره في الشرف والفضل والعلم والعصمة أجل من أن يذكر في سطور ، قال ابن حجر : « نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في البلدان » وجمع أصحاب الحديث أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات فكانوا أربعة آلاف رجل ، ذكرهم الحافظ ابن عقدة في كتاب رجاله ، وذكر مصنفاتهم فضلا عن غيرهم ، استشهد عليه السلام مسموما لعشر سنين خلت من خلافة المنصور العباسي سنة ١٤٨ هــ ، ودفن بالبقيع مع أبيه وجده عليهم السلام.
انظر « أعيان الشيعة ١ : ٦٥٩ ، حلية الاولياء ٣ : ١٩٢ ، وفيات الاعيان ١ : ٣٢٧|١٣١ ، الجرح والتعديل ٢ : ٤٨٧ | ١٩٨٧ ، رجال صحيح مسلم ١ : ١٢٠|٢٢١ ، تهذيب الكمال ٥ : ٧٤|٩٥٠ ، ميزان الاعتدال ١ : 414|1519 ، تهذيب التهذيب ٢ : ٨٨|١٥٦ ، سير أعلام النبلاء ٦ : ٢٥٥|١١٧. »
(87)رواه الشهيد الثاني في كتابه أسرار الصلاة : ٣٦ ، ونقله عنه الفيض الكاشاني في المحجة البيضاء ٢ : ٢٤٧ ، وفيهما : ولكنهم لا يبصرون . وفي المصدرين أيضا ، عنه عليه السلام : وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلاة حتى خرمغشيا عليه فلما أفاق قيل له في ذلك ، فقال : ما زلت اردد الآية على قلبي وعلى سمعي حتى سمعتها من المتكلم بها ، فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته.
قال الفيض : وفي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة .

(232)

تكاثر نكت علم البيان وفقره ، ومحاسن حجوله وغرره ، وغرائب وشيه وأعلام حبره ، تنثال ارسالا على الناظر البصير ، وتزدحم أسرابا على الناقد النحرير.

وأنا اضرب لك سورة الكوثر ــ وهي أقصر السور ــ مثالا أنصبه بين يديك ، وأجعله نصب عينيك ، فأنت أكيس الاكياس ، ومعك نهية (٨٨ (كشعلة المقباس ، وتكفيك الرمزة وإن كانت خفية ، والتنبيهة وإن كانت غير جلية ، فكيف إذا ذللت بأنور من وضح الفلق ، وأشهر من شية (٨٩) الابلق.

أقول وبالله التوفيق : ورد على رسول الله صلى الله عليه وآله عن عدو الله العاص بن وائل (٩٠) ما يهدم مقاله ، ويهزم محاله (٩١) ، وينفس عن رسوله ، وينيله نهاية سؤله ، فأوحى إليه سورة على صفة إيجاز واختصار ، وذلك ثلاث آيات قصار ، جمع فيها ما لم يكن ليجتمع لاحد من فرسان الكلام ، الذين يخطمونه بالخطام (٩٢) ويقودونه بالزمام ، كسحبان (٩٣) وابن عجلان ، وأضرابهما من الخطباء المصاقع والبلغاء البواقع (٩٤) الذين تفسحت في هذا الباب خطاهم ، وتنفس في ميادينه مداهم.

انظر إلى العليم الحكيم كيف حذا ثلاث الآيات على عدد المسليات ، من

---

(88)النهية : العقل « لسان العرب ــ نهى ــ ١٥ : ٣٤٦. »

(89)الشية : كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره ، وأصله من الوشي . « النهاية ــ شيه ــ ٢ : ٥٢٢. »

(90)العاص بن وائل بن هاشم السهمي ، من قريش ، أحد الحكام في الجاهلية ، كان نديما لهشام بن المغيرة وأدرك الاسلام ، وظل على الشرك ويعد من المستهزئين ومن الزنادقة الذين ماتوا كفارا وثنيين ، وهو والد عمرو بن العاص صاحب معاوية . « الاعلام ٣ : ٢٤٧. »

(91)يقال : رجل يماحل : أي يدافع ويجادل ، من المحال ، بالكسر ، وهو الكيد ، وقيل : المكر ، وقيل : القوة والشدة ، انظر « النهاية ــ محل ــ ٤ : ٣٠٣. »

(92)الخطام : الزمام . وخطمت البعير : زممته « الصحاح ــ خطم ــ ٥ : ١٩١٥. »

(93)سحبان بن زفر بن اياس الواثلي ، من باهلة ، خطيب يضرب به المثل في البيان ، يقال : « أخطب من سحبان » و »أفصح من سحبان » اشتهر في الجاهلية وعاش زمنا في الاسلام ، وكان إذا خطب يسيل عرقا ولا يعيد كلمة ، أسلم في زمن النبي و لم يجتمع به.

»الاصابة ٢ : ١٠٩ | ٣٦٦٣ ، بلوغ الارب ٣ : ١٥٦ ، مجمع الامثال ١ : ٢٤٩ ، الاعلام ٣ : ٧٩. »

(94)الباقعة : الرجل الداهية . « لسان العرب ــ بقع ــ ٨ : ١٩. »

إجلال محل رسول الله وإعلاء كعبه ؛ وإعطائه أقصى ما يؤمله عند ربه (٩٥) ، ومن الايعاز إليه أن يقبل على شأنه من أداء العبادة بالاخلاص (٩٦) ، وأن لا يحفل بما ورد عليه من ناحية العاص ، ولا يحيد عن التفويض إليه محيدا ، فلا يذره وائبا وحيدا ، ومن الغضب له بما فيه مسلاته من الكرب ، من إلصاق عار البتر بالكلب (٩٧) ، والاشعار بأن كان عدو الله بورا ، و لم يكن إلا هو صنبورا (٩٨.)

ثم انظر كيف نظمت النظم الانيق ، ورتبت الترتيب الرشيق ، حيث قدم منها ما يدفع الدعوى ويرفعها ، وما يقطع الشبهة ويقلعها ، ثم لما يجب أن يكون عنه مسببا ، وعليه مترتبا ، ثم ما هو تتمة الغرض من وقوع العدو في مغواته (٩٩) التي حفر ، وصليه بحر ناره التي سعر ، ومن الشهادة على إلصاقه بالسليم عيبه ، وتوريكه على البريء ذنبه (١٠٠.)

وتأمل كيف أن من اسند إليه إسداء هذه العطية ، وإيتاه هذه الموهبة السنية ، هو ملك السماوات والارض ، ومالك البسط والقبض ، وكيف وسع العطية وكثرها ، وأسبغها ووفرها ، فدل بذلك على عظم طرفي المعطى ، وعلى جلال جنبي المسدي والمسدى ، وقد علم أنه إذا كان المعطي كبيرا ، [كان] العطاء كثيرا ، فيالها من نعمة مدلول على كمالها ، مشهود بجلالها.

وأراد بالكوثر أولاده إلى يوم القيامة من امته ، جاء في قراءة عبد الله : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أبوهم وأزواجه امهاتهم » (١٠١) وما أعطاه الله

---

(95)إشارة إلى قوله تعالى : « إنا أعطيناك الكوثر. »

(96)إشارة إلى قوله تعالى : « فصل لربك وانحر. »

(97)إشارة إلى قوله تعالى : « إن شانئك هو الابتر. »

(98)أي أبتر لا عقب له « النهاية ــ صنبر ــ ٣ : ٥٥. »

(99)مغواة : حفرة كالزبية تحفر للذئب ، ويجعل فيها جدي إذا نظر إليه سقط عليه يريده . ومنه قيل لكل مهلكة مغواة . « النهاية ــ غوا ــ ٣ : ٣٩٨ » . (١٠) ورك عليه ذنبه : حمله عليه « أساس البلاغة ــ ورك ــ ٤٩٧. »

(101)قال المصنف في الكشاف ٣ : 251 : وفي قراءة ابن مسعود : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم » ، وقال القرطبي في الجامع لاحكام القرآن ١٤ : ١٢٣ : ثم إن في مصحف ابي بن كعب

==

في الدارين من مزايا الاثرة ولتقديم في الدارين من مزايا الاثرة والتقديم ، ووضع في يديه من نواصي التفضيل والتكريم ، والثواب الذي لم يعرف إلا هو كنهه ، و لم يعط إلا الملك شبهه ، ومن جملة الكوثر ما اختصه به من النهر الذي حاله المسك (١٠٢) ، ورضراضه التوم (١٠٣) ، وعلى حافاته من أواني الذهب والفضة ما لا يعاده النجوم.

ثم تبصر كيف نكت في كل شيء تنكيتا ، يترك المنطيق سكيتا ، حيث بنى الفعل على المبتدأ فدل على الخصوصية ، وجمع ضمير المتكلم فأذن بعظم الربوبية ، وصدر الجملة المؤخرة على المخاطب أعظم القسم ، بحرف التأكيد الجاري مجرى القسم ، ما ورد الفعل بالفظ الماضي ، على أن الكوثر لم يتناول عطاء العاجلة دون عطاء الآجلة ، دلالة على أن المتوقع من سيب (١٠٤) الكريم في حكم الواقع ، والمترقب من نعمائه بمنزلة الثابت النافع . وجاء بالكوثر محذوف الموصوف ، لان المثبت ليس فيه ما في المحذوف من فرط الابهام والشياع ، والتناول على طريق الاتساع ، واختار الصفة المؤذنة بافراط الكثرة ، المترجمة عن المعطيات الدثرة ، ثم بهذه الصفة مصدرة باللام المعرفة ، لتكون لما يوصف بها شاملة ، وفي إعطاء معنى الكثرة كاملة.

وعقب ذلك بفاء التعقيب ، مستعارة لمعنى التسبيب ، يشتقها معنيان ، صح تسبيب الانعام بالعطاء الاكثر ، للقيام بما يضاهيه من الشكر الاوفر ، وتسليمه

==

»وأزواجه امهاتهم وهو أب لهم » وقرأ ابن عباس « من أنفسهم وهو أب [لهم] وأزواجه [أمهاتهم. « [

وقال الطبرسي في مجمع البيان ٤ : ٣٣٨ : وروي أن النبي صلى الله عليه وآله لما أراد غزوة تبوك ، وأمر الناس بالخروج ، قال قوم : نستأذن آباءنا وامهاتنا فنزلت هذه الآية.

وروي عن ابي وابن مسعود وابن عباس أنهم كانوا يقرؤون » النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه امهاتهم وهو أب لهم » وكذلك هو في مصحف أُبَيٌ ، وروي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام .

(102)حاله المسك : أي طينه المسك . « النهاية ــ حول ــ ١ : ٤٦٤ » . (١٠٣) الرّضْراض : الحصى الصغار ، والتوم : الدر . « النهاية ــ رضرض ــ ٢ . « 229 :

(104)السيب : العطاء . « الصحاح ــ سيب ــ ١ : ١٥٠ . «

لترك المبالاة بقول ابن وائل ، وامتثال قول الله عز من قائل ، وقصد باللامين (١٠٥) التعريف بدين العاص وأشباهه ، ممن كانت عبادته ونحره لغير إلهه ، وتثبيت قدمي رسول الله على صراطه المستقيم ، وإخلاصه العبادة لوجهه الكريم ، وأشار بهاتين العبادتين إلى نوعي العبادات ، وصنفي الطاعات ، أعني الاعمال البدنية التي الصلاة إمامها ، والمالية التي نحر البدن سنامها ، ونبه على ما لرسول الله من الاختصاص بالصلاة التي جعلت لعينه قرة (١٠٦) وبنحر البدن التي كانت همته بها المشمخرة.

روينا بالاسناد الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في أنفه برة (١٠٧) من ذهب (١٠٨) . وحذف اللام الاخرى لدلالته عليها بالاولى ، مع مراعاة حق التسجيع ، الذي هو من جملة صنعة البديع ، إذا ساقه قائله مساقا مطبوعا ، ولم يكن متكلفا أو مصنوعا ، كما ترى اسجاع القرآن وبعدها عن التعسف ، وبراءتها من التكلف.

وقال : « لربك » ، وفيه حسنان ، وروده على طريقة الالتفات (١٠٩) التي هي ام من الامهات ، وصرف الكلام عن لفظ المضمر إلى لفظ المظهر ، وفيه إظهار لكبرياء شأنه ، وانافة لعزة سلطانه ، ومنه أخذ الخلفاء قولهم : يأمرك أمير المؤمنين بالسمع والطاعة ، وينهاك أمير المؤمنين عن مخالفة الجماعة .

---

(105)أي بلام « لربك » ، واللام المحذوفة في قوله « وانحر » أي وانحر له ، كما سيصرح بذلك « هـ م. »

(106)إشاره إلى قوله صلى الله عليه وآله : حببت إلي من الدنيا ثلاث : النساء ، والطيب ، وجعلت قرة عني في الصلاة . « الخصال : ١٦٥|٢١٨. »

(107)البرة : حلقة تجعل في لحم الانف ، وربما كانت من شعر . « النهاية ــ بره ــ ١ : ١٢٢. »

(108)أخرجه البيهقي في سننه ٥. 230 :

(109)قال ابن حمزه العلوي في الطراز ٢ : ١٣٢ : الالتفات : هو العدول من اسلوب في الكلام إلى اسلوب آخر مخالف للاول ، وهذا أحسن من قولنا : هو العدول من غيبة إلى خطاب ، ومن خطاب إلى غيبة ، لان الاول يعم سائر الالتفاتات كلها ، والحد الثاني إنما هو مقصور على الغيبة والخطاب لاغير ، ولا شك ان الالتفات قد يكون من الماضي إلى المضارع وقد يكون على عكس ذلك فلهذا كان الحد الاول هو أقوى دون غيره .

وعن عمر بن الخطاب (رض) أنه حين خطب الازدية أتى أهلها فقال لهم : خطب إليكم سيد شباب قريش مروان بن الحكم ، وسيد أهل المشرق حسن بن بجيلة ويخطب إليكم أمير المؤمنين ـــ عنى نفسه ـــ.

وعلم بهذه الصفة أن من حق العبادة أن يخص بها العباد ربهم ومالكهم ، ومن يتولى معايشهم ومهالكم ، وعرض بخطأ من سفه نفسه ونقض قضية لبه ، وعبد مربوبا وترك عبادة ربه.

وقال : « إن شانئك » فعلل الامر بالاقبال على شانه ، وقلة الاحتفال بشنآنه ، على سبيل الاستئناف ، الذي هو جنس حسن الموقع رائعه ، وقد كثرت في التتريل مواقعه ، ويتجه أن يجعلها جملة للاعتراض ، مرسلة إرسال الحكمة لخاتمة الاغراض ، كقوله تعالى : « إن خير من استأجرت القوي الامين » (١١٠).

وعنى بالشانئ السهمي المرمي بسهمه ، وإنما ذكره بصفته لاباسمه ، ليتناول كل من كان في مثال حاله ، من كيده بدين الحق ومحاله ، وفيه أنه لم يتوجه بقلبه إلى الصدق ، و لم يقصد به الافصاح عن الحق ، و لم ينطق إلا عن الشنآن الذي هو توأم البغي والحسد ، وعن البغضاء التي هي نتيجة الغيظ والحرد (١١١) ، وكذلك وسمه بما ينبئ عن المقت الاشد ، ويدل على حنق الخصم الالد ، وعرف الخبر ليتم له البتر ، كأنه الجمهور (١١٢) الذي يقال له الصنبور ، وأقحم الفصل لبيان أنه المعين لهذه النقيصة ، وأنه المشخص لهذه الغميصة (١١٣) ، وذلك كله مع علو مطلعها ، وتمام مقطعها (114)، ومجاوبة عجزها لهاديتها (١١٥)،

---

(110) سورة القصص ٢٨. 26 :

(111) الحرد : الغضب . « تاج العروس ـــ حرد ـــ ٢ : ٣٣٤. »

(112) كذا.

(113) يقال : اغتمصت فلانا اغتماصا : احتقرته « لسان العرب ـــ غمص ـــ ٧ : ٦١. »

(114) مقاطع القرآن : مواضع الوقوف.

(115) في الحديث : « طلعت هوادي الخيل » يعني أوائلها ، والهادي والهادية : العنق ؛ لانها تتقدم على البدن ، ولانها تهدي الجسد . « النهاية ـــ هذا ـــ ٥ : ٢٥٥ . »

(237)

وسببها (١١٦) لناصيتها ، واتصافها بما هو طراز الامر كله من مجيئها ، مع كونها مشحونة بالنكت الجلائل ، مكتترة بالمحاسن غير القلائل ، خالية من تصنع من يتناول التنكيت ، وتعمل من يتعاطى

بمحاجته التبكيت (١١٧) ، وكأنها كلام من يرمي به على عواهنه ، ولا يتعمد إلى إبلاغ نكته ومحاسنه ، ولا يلقاك ذلك إلا في كلام رب العالمين ، ومدبر الكلام والمتكلمين ، فسبحان من لو أنزل هذه الواحدة وحدها ، و لم يترل ما قبلها وما بعدها ، لكفى بها آية تغمر الاذهان ، ومعجزة توجب الاذعان ، فكيف بما أنزل من السبع الطوال ، وما وراءها إلى المفصل (١١٨) ، والمفصل ، ياالها من معجزة كم معجزات في طيها ، عند كل ثلاث آيات تقر الالسن بعيها ، لو أراد الثقلان تسلية المغيظ المحنق ؛ لاخذت من أفاصحهم بالمخنق ، إن هموا بإنشاء سورة توازيها ، وثلاث آيات تدانيها . هيهات قبل ذلك يشيب الغراب ، ويسيب الماء كالسراب.

ودع عنك حديث الصرفة (١١٩) ، فما الصرفة إلا صفرة (١٢٠) من النظام ، وفهة (١٢١) منه في الاسلام ، ولقد ردت على النظام صفرته ، كما ردت عليه طفرته ، ولو صح ماقاله لوجب في حكمة الله البالغة ، وحجته الدامغة أن يترله على أرك نمط وأنزله ، وأفسل (١٢٢) اسلوب وأسفله ، وأعراه من حلل البلاغة وحليها ،

---

(116)السبيب : شعر الذنب « لسان العرب ــ سبب ــ ١ : ٤٥٩. »

(117)بكته بالحجة أي غلبه « لسان العرب ــ بكت ــ ٢ : ١١. »

(118)المفصل من القرآن السبع الاخير ، وذلك للفصل بين القصص بالسور القصار ، والفواصل آواخر الآي « مفردات ألفاظ القرآن ــ فصل ــ ٣٨١. »

(119)الصرفة : هي مما ذهب إليه النظام المعتزلي في إعجاز القرآن ، وهو صرف الدواعي عن المعارضة ، ومنع العرب عن الاهتمام به جبرا وتعجيزا ؛ حتى لو خلاهم سبحانه لكانوا قادرين على أن ياتوا بسورة من مثله بلاغة وفصاحة ونظما . انظر « الملل والنحل ١ : ٥٨. »

(120)يقال : إنه لفي صفرة ، للذي يعتريه الجنون ، إذا كان في أيام يزول فيها عقله ، لانهم كانوا يمسحونه بالزعفران . « الصحاح ــ صفر ــ ٢ : ٧١٤. »

(121)الفهة : السقطة والجهلة . يقال : فه الرجل يفه فهاهة وفهة ، فهوفة وفهيه : إذا جاءت منه سقطة من العي وغيره « النهاية ــ فهه ــ ٣ : ٤٨٢. »

(122)الفسل : الرديء من كل شيء . « مجمع البحرين ــ فسل ــ ٥ : ٤٤٠ . »

(238)

وأخلاه من بهي جواهر العقول وثريها ، ثم يقال لولاة أعلى الكلام طبقة وأمتنه ، ولارباب آنقه طريقة وأحسنه : هاتوا بما ينحو نحوه ، وهلموا بما يحذو حذوه ، فيعترضهم الحجز ، ويتبين فيهم

العجز ، فيقال قد استصرفهم الله عن أهون ما كانوا فيه ماهرين ، وأيسر ما كانوا عليه قادرين ، ألم ترهم كيف كانوا يعنقون (١٢٣) في المضمار فوقفوا ، وينهبون الحلبة بخطاهم فقطفوا (١٢٤) ، ولا يقال الله قادر على أن يأتي بما هو أفصح وأفصح ، وأملح لفظا ومعنى وأملح ، فهلا أتى بذلك المتناهي في الفصاحة والمتمادي في الملاحة ، فإن الغرض اتضاح الحجة وقد اتضحت ، وافتضاح الشبهة وقد افتضحت ، وإذا حصل الغرض فليس وراءه معترض.

وأما إغفال السلف لما نحن بصدده ، وإهمالهم الدلالة على سننه ، والمشي على جدده (١٢٥) ، فلان القوم كانوا أبناء الآخرة ، وإن نشأوا في حجر هذه الغادرة ، ديدنهم قصر الآمال ، وأخذ العلوم لتصحيح الاعمال ، وكانوا يتوخون الاهم فالاهم والاولى فالاولى والازلف فالازلف من مرضاة المولى ، ولانهم كانوا مشاغيل بجر أعباء الجهاد ، معنين (١٢٦) بتقويم صفات أهل العناد ، معكوفي الهمم على نشر الاعلام لنصرة الاسلام ، فكان ما بعث به النبي عليه الصلاة والسلام لتعليمه وتلقينه ، وارسل للتوقيف عليه وتبيينه ، أهم عندهم مما كانوا مطبوعين على معرفته ، مجبولين على تبين حاله وصفته ، وكان إذ ذاك البيان غضا طريا ، واللسان سليما من اللكنة بريا ، وطرق الفصاحة مسلوكة سائرة ، ومنازلها مأهولة عامرة ، وقد مهد عذرهم تعويلهم على ما شاع وتواتر ، واستفاض وتظاهر ، من عجز العرب وثبات العلم به ورسوخه في الصدور ، وبقائه في القلوب على ممر العصور .

---

(123)يعنقون : أي يسرعون . انظر » لسان العرب ــ عنق ــ ١٠ : ٢٧٣. «

(124)القطاف : تقارب الخطو في سرعة ، من القطف : وهو القطع . « النهاية ــ قطف ــ ٤ : ٨٤. «

(125)الجدد : الارض الصلبة ، وفي المثل : « من سلك الجدد أمن العثار » . « الصحاح ــ جدد ــ ٢ : ٤٥٢. «

(126)معنين : أي متعبين . انظر « لسان العرب ــ عنن ــ ١٣ : ٢٩٠ . «

(239)

وبعد انقراض اولئك العرب ، المائلة دلو البلاغة إلى عقد الكرب (١٢٧ (، وبقاء رباعها (١٢٨) بغير طلل (١٢٩) ورسم (١٣٠) ، وذهابها ذهاب جديس وطسم (١٣١ (، لم يبق من هذا العلم إلا نحو الغراب الاعصم (١٣٢) ، والنكتة (١٣٣) البيضاء في نقبة الادهم (١٣٤) ، وجملة تلك البقية قد اتبعوا سنن الاولين ، وكانوا على عجز العرب معولين ، ولم يقولوا كم بين إيمان السحار

وبين إيمان النظار ، ثم ادرج هذا العلم تحت طي النسيان ، كما يدرج الميت في الاكفان.

ولو لا أن الله أوزعني أن أنفض عليه لمتي (١٣٥) ، وألهمني أن أنهض إليه بهمتي ، حتى أنفقت على النظر فيه شبابي ، ووهبت له أمري ، وكانت إجالة الفكر في غوامضه دهري ، لم تسمع من أحد فيه همسا ، ولم تلق من ينبس منه بكلمة نبسا ، والله أسأل أن يهديني سبل الاصابة ، ويثيبني على ذلك احسن إثابة ، فما نويت بما لقيت فيه من عرق الجبين ، إلا التوصل إلى ما فيه من ثلج اليقين ، وإلا

(127)مثل سائر مأخوذ من قول الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب حيث يقول:

من يساجلني يساجل ماجدا * يملا الدلو إلى عقد الكرب

وهو الحبل الذي يشد في وسط العراقي ثم يثنى ، ثم يثلث ، ليكون هو الذي يلي الماء فلا يعفن الحبل الكبير . يضرب لمن يبالغ فيما يلي من الامر انظر « مجمع الامثال ٢ : ٤٢١ |٤٧١٥. »

(128)الربع : المترل ودار الاقامة ، وربع القوم محلتهم ، والرباع جمعه « النهاية ـــ ربع ـــ ٢ : ١٨٩. »

(129)الطلل : ما شخص من آثار الدار ، والجمع أطلال وطلول . « الصحاح ـــ طلل ـــ ٥ : ١٧٥٢. »

(130)الرسم : الاثر ، انظر « مجمع البحرين ـــ رسم ـــ ٦ : ٧٢. »

(131)جديس : قبيلة من العرب العاربة البائدة ، كانت مساكنهم اليمامة والبحرين ، وكان يجاورهم طسم ، وهي قبيلة من العرب العاربة أيضا ، تنتسب إلى طسم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح ، وقد انقرضت . انظر « معجم قبائل العرب ١ : ١٧٢ و٢ : ٦٨٠ ، ومصادره. »

(132)الغراب الاعصم : الذي في جناحه ريشة بيضاء لان جناح الطائر بمترلة اليد له . « الصحاح ـــ عصم ـــ ٥. « 1986 :

(133)النكتة ، بالضم : النقطة . « القاموس المحيط ـــ نكت ـــ ١ : ١٥٩. »

(134)الدهمة : السواد . يقال : فرس أدهم ، وبعير أدهم ، وناقه دهماء ، إذا اشتدت ورقته حتى ذهب البياض الذي فيه . « الصحاح ـــ دهم ـــ ٥ : ١٩٢٤. »

(135)اللمة : الهمة ، والخطرة تقع في القلب « النهاية ـــ لمم ـــ ٤ : ٢٧٣ . »

(240)

استبانه حجة الله وبرهانه واستيضاح أنوار قرآنه ، وأنه يوفقني للخير وطلبه ، وأن ينظمني في زمره أهله ويختم لي به ـــ تمت.

* * *

مصادر التحقيق

1ــ القرآن الكريم.

2ــ أساس البلاغة : تأليف العلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هــ) ، تحقيق عبد الرحيم محمود ، اوفست مكتب التبليغات الاسلامي ، قم.

3ــ أسرار الصلاة : للشهيد الثاني ، المطبوع ضمن « مجموعة الرسائل » على الحجر سنة ١٣٠٥ هــ ، اوفست المكتبة المرعشية قم ١٤٠٤ هــ.

4ــ الاصابة في تمييز الصحابة : لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٥٢) ، مطبعة السعادة ، مصر ، الطبعة الاولى ١٣٢٨ هــ.

5ــ أعيان الشيعة : للسيد محسن الامين ، تحقيق ولده حسن الامين ، بيروت ، دار التعارف للمطبوعات.

6ــ الامالي : للسيد المرتضى الشريف أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين (ت ٤٣٦ هــ) ، تصحيح وتعليق السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي ، الطبعة الاولى ١٣٢٥ هــ ، اوفست مكتبة السيد المرعشي في قم ١٤٠٣ هــ.

7ــ إنباه الرواة على أنباه النحاة : تأليف جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي (ت ٦٢٤ هــ) ، تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم ، الطبعة الاولى ١٤٠٦ هــ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت.

8ــ الانساب : تأليف أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت ٥٦٢ هــ) ، تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، الطبعة الثانية ١٤٠٠ هــ ، نشر محمد أمين دمج ، بيروت.

9ــ البداية والنهاية : تأليف الحافظ أبي الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الدمشقي (ت ٧٧٤ هــ) ، نشر دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٢ هــ.

10ــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هــ) ، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ، الطبعة الاولى ١٣٨٤ هــ.

11ــ بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب : تأليف السيد محمود شكري الآلوسي البغدادي ، تصحيح محمد بهجة الاثري ، الطبعة الثانية دار الكتب العلمية ، بيروت.

12ـــ تاج العروس من جواهر القاموس : تأليف محمد مرتضى الزبيدي ، الطبعة الاولى ١٣٠٦ هـــ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت.

13ـــ تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام : تأليف الحافظ شمس الدين محمد ابن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٧هــــــ) ، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري ، الطبعة الاولى ١٤٠٧هـــ، دار الكتاب العربي ، بيروت.

14ـــ تأريخ بغداد : للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي بيروت ، نشر دار الكتاب العربي.

15ـــ تذكرة الحفاظ : تأليف الحافظ أبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي) ت ٧٤٨هـــ) ، تصحيح عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، نشر دار إحياء التراث العربي.

16ـــ تهذيب التهذيب : تأليف الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني) ت ٨٥٢هـــ) الطبعة الاولى ١٤٠٤هـــ، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

17ـــ تهذيب الكمال في أسماء الرجال : تأليف الحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي 742)هـــ) ، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـــ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

18ـــ الجرح والتعديل : تأليف الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـــ) ، الطبعة الاولى ، بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ـــ الهند ، ١٣٧١هـــ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

19ـــ حلية الاولياء وطبقات الاصفياء : للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني (ت ٤٣٠هـــ (الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـــ ، دار الكتاب العربي ، بيروت.

20ـــ حياة الحيوان الكبرى : تأليف الشيخ كمال الدين الدميري ، دار الفكر ، بيروت.

21ـــ الخصال : للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري ، نشر جماعة المدرسين ـــ قم.

22ـــ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة : تأليف أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـــ) ، تحقيق الدكتور عبدالمعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٥هـــ.

23ـــ رجال صحيح مسلم : تأليف المحدث أبي بكر أحمد بن علي بن منجويه

(243)

الاصبهاني (٤٢٨هـ (تحقيق عبد الله الليثي ، الطبعة الاولى ١٤٠٧هـ ، دار المعرفة ، بيروت.

24ــ روضات الجنات : للعلامة المتتبع الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الاصبهاني ، نشر مكتبة اسماعيليان ، طهران ١٣٩٠هـ.

25ــ سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار : تأليف الشيخ عباس القمي ، دار التعارف بيروت.

26ــ السنن الكبرى : تأليف الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٤٥٨هـ) ، دار المعرفة ، بيروت.

27ــ سير أعلام النبلاء : تأليف شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748 هـ) الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

28ــ السيرة النبوية : لابن هـشام ، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ حلبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

29ــ شذرات الذهب في أخبار من ذهب : لابي الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة.

30ــ الصحاح : لاسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، بيروت ، دار العلم للملايين.

31ــ طبقات المفسرين : للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، ضبط لجنة من العلماء ، نشر دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ.

32ــ طبقات المفسرين : للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي (٩٤٥هـ) ، ضبط لجنة من العلماء ، نشر دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ.

33ــ الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز : تأليف يحيى بن حمزة ابن علي بن ابراهيم العلوي اليمني ، دار الكتب العلمية ، بيروت1402 هـ.

34ــ العبر في خبر من غبر : للحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ) تحقيق أبوهاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ دار الكتب العلمية بيروت.

35ــ الفائق في غريب الحديث : تأليف العلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري) ت ٥٣٨هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبوالفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، دار

(244)

المعرفة ، بيروت.

36ـ القاموس المحيط : تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٣هـ.

37ـ الكامل في التأريخ : تأليف الشيخ أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن الاثير ، دار صادر ، بيروت ١٤٠٢هـ.

38ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل : تأليف العلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت538 هـ) ، دار المعرفة ، بيروت.

39ـ كنز العمال في سنن الاقوال والافعال : تأليف علاء الدين علي المتقى بن حسام الهندي البرهان فوري (ت ٩٧٥) ، ضبط وتصحيح الشيخ بكري حياتي والشيخ صفوه السقا ، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ ، مؤسسة الرسالة بيروت.

40ـ الكنى والالقاب : تأليف الشيخ عباس القمي ، مطبعة العرفان صيدا ١٣٥٨.

41ـ لسان العرب : لابي الفضل جمال الدين أحمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري ، قم ، نشر أدب الحوزة.

42ـ لسان الميزان : تأليف الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ ، نشر مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت ، اوفست على الطبعة الاولى المطبوعة في حيدر آباد سنة ١٣٢٩هـ.

43ـ مجمع الامثال : تأليف أبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم النيسابوري الميداني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثالثة1393 هـ ، دار الفكر ، بيروت.

44ـ مجمع البحرين : للشيخ فخر الدين الطريحي ، تحقيق السيد أحمد الحسيني ، الطبعة الثانية ، طهران.

45ـ المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء : تأليف المحدث الكبير محمد بن المرتضى المدعو بالمولى محسن الكاشاني) ت ١٠٩١هـ) ، تصحيح علي أكبر الغفاري ، الطبعة الثانية ، مؤسسة النشر الاسلامي ـ قم.

46ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان : تأليف أبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي (ت ٧٦٨هـ (الطبعة الثانية ، ١٣٩٠هـ ، نشر مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، اوفست على الطبعة الاولى المطبوعة في حيدر آباد ١٣٣٧هـ.

47ــ مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع : تأليف صفي الدين عبد المؤمن بن عبدالحق البغدادي (ت739 هــ) تحقيق علي محمد البجاوي ، الطبعة الاولى ١٣٧٣هــ ، دار المعرفة بيروت .

48ــ المستدرك على الصحيحين في الحديث : تأليف الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هــ) ، دار الفكر بيروت ١٣٩٨هــ.

49ــ المستفاد من ذيل تأريخ بغداد : للحافظ محب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي (ت ٦٤٣هــ) انتقاء كاتبه أحمد بن أيبك بن عبد الله الحسيني المعروف بابن الدمياطي (٧٤٩) ، تحقيق الدكتور قيصر أبوفرح ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت.

50ــ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : تأليف العلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت ٧٧٠هــ) اوفست دار الهجرة في إيران ١٤٠٥هــ.

51ــ معجم الادباء : تأليف أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت626 هــ) الطبعة الثالثة ١٤٠٠هــ ، دار الفكر ، بيروت.

52ــ معجم البلدان : تأليف شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، دار صادر ، بيروت ١٣٩٩هــ.

53ــ معجم رجال الحديث : لآية الله العظمى السيد الخوئي (دام ظله) ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٤٠٣هــ.

54ــ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة : تأليف عمر رضا كحالة ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هــ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

55ــ المفردات في غريب القرآن : تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت502 هــ) تحقيق محمد سيد كيلاني ، الطبعة الثانية ، المكتبة المرتضوية.

56ــ الملل والنحل : تأليف أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، تخريج محمد فتح الله بدران ، الطبعة الثانية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة.

57ــ ميزان الاعتدال في نقد الرجال : تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هــ) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت.

58ــ النهاية في غريب الحديث والاثر : لابي السعادات المبارك بن محمد الجزري

)ابن الاثير) ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناجي ، نشر المكتبة الاسلامية.
59ـــ هدية العارفين : تأليف إسماعيل باشا البغدادي ، دار الفكر ١٤٠٢هـــ.
60ـــ الوفا بأحوال المصطفى : تأليف أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـــ) تحقيق مصطفى عبد الواحد ، الطبعة الاولى ١٣٨٦هـــ ، دار الكتب الحديثة.
61ـــ وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان : تأليف أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـــ) ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار صادر بيروت (١٣٩٨هـــ. (